
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الإعصار الأحمر
104
د. نبيل فاروق
المؤسسة العربية الحديثة
Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيَّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - عبر الهاتف ..

أشرق صباح جديد، على العاصمة الروسية (موسكو)، وتسللت أشعة الشمس الدافئة، عبر فجوة صغيرة، وسط السحب الكثيفة الداكنة، التى تحجب السماء، فى تلك الفترة من العام، فتألقت بقعة من الثلوج بذلك الضوء الذهبى، الذى لم يلبث أن انحسر مسرعًا، مع اندماج السحب عند الفجوة، فى نفس اللحظة التى عبرت فيها سيارة صغيرة المكان، وتجاوزت الشارع الرئيسى الكبير، لتنحرف إلى شارع جانبى صغير، وتتوقَّف أمام مبنى قديم، من مبانى ما قبل الحرب، ليهبط منها رجل قصير القامة، أصلع الرأس، ممتلئ الجسد إلى حد ما، يخفى عينيه بمنظار شمسى داكن، فى محاولة لإخفاء شخصيته، ولم يكد يغلق باب السيارة خلفه، حتى وضع على رأسه غطاء من الفراء السميك، ورفع ياقتى معطفه، ليخفى الجزء الأكبر من وجهه، قبل أن يطرق باب المبنى الصغير ثلاث طرقات متتالية، ثم ينتظر لحظة، انفتح بعدها الباب، وغمغم رجل ممشوق القامة:

- تفضَّل يا سيِّدى .. الجميع فى انتظارك.

عبر الرجل الباب فى سرعة ، فأغلقه ممشوق القوام خلفه فى إحكام ، ثم قاده عبر ممر طويل خافت الإضاءة ، إلى قاعة صغيرة ، اجتمع فيها خمسة من الرجال ، الذين احتلوا يومًا أرفع المناصب ، فى الحزب الشيوعى السوفيتى ، قبل الانهيار المعروف(★) ، ولقد نهضوا جميعًا لاستقبال القادم الجديد ، الذى حيَّاهم بيده فى شىء من الترفع ، قبل أن يحتلّ مكانه على رأس مائدة الاجتماعات ، قائلًا :

ـ أرى أنكم قد حضرتم جميعًا هذه المرة .

أجابه أحدهم متوترًا :

لم يكن هناك مفرّ من هذا يا (زورين) ، لقد أبلغتنا جميعًا أن هذا الاجتماع بالغ الأهمية والخطورة ، و ...

قاطعه (زورين) فى غضب صارم :

ـ لا أسماء يا رجال .. قلت ألف مرة : لا أسماء .

شحب وجه الرجل ، وتراجع فى مقعده ، متمتمًا :

ـ معذرة .. لم أكن أقصد هذا .. لم أكن أقصده أبدًا .

(★) مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، انهار الاتحاد السوفيتى القديم ، بسبب الأزمات الاقتصادية ، التى برزت إلى السطح ، إثر سياستى الإصلاح والمصارحة ، اللتين اتبعهما (ميخائيل جورباتشوف) ، ومع الانهيار ، انقسم الاتحاد السوفيتى إلى دويلات صغيرة ، أكبرها (روسيا) ، التى احتلت مكانة الاتحاد السوفيتى السابق ، فى المحافل الرسمية .

ظلّ (زورين) يرمقه بنظرة صارمة غاضبة لثانية أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هذا الاجتماع بالغ الأهمية والخطورة بالفعل ، فاليوم سأشرح لكم خطتى النهائية لاستعادة السيطرة على الجيش والحكومة ، كخطوة أولى للتغلب على الانهيار ، وعودة الاتحاد السوفيتى القديم ، بمجده وعظمته .

غمغم أحدهم :

ـ هذا ما ينادى به (جرينوفسكى)(★) ، ولكن الأمر يبدو لى مستحيلًا ، بعد كل ما حدث من تغيرات اجتماعية واقتصادية .

هز (زورين) رأسه ، قائلًا :

ـ لا توجد مستحيلات .. لقد درسنا الأمر من كل جوانبه ، وسأثبت لكم أن كل شىء ممكن .

وأخرج من جيبه أسطوانة كمبيوتر ، لوَّح بها قائلًا :

ـ هنا ، وفى هذه الأسطوانة المدمجة ، ستجدون الخطة الكاملة لاستعادة المجد .. خطة الإعصار ، الذى سيجتاح العالم أجمع ، ويعيد للسوفيت عظمتهم السابقة .

(★) (فلاديمير جرينوفسكى) : سياسى روسى ، ظهر فى الآونة الأخيرة ، مناديًا بعودة المجد العسكرى السوفيتى القديم ، ويلقى نجاحًا واضحًا فى الأوساط الشعبية الروسية ، التى تعانى الكثير من الأزمات الاقتصادية ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتى القديم .

وتألقت عيناه بشدة ، وهو يستطرد فى حماس مطلق :
ـ الإعصار الأحمر .
خفقت قلوبهم فى قوة ، وعيونهم متعلقة بأسطوانة الكمبيوتر المدمجة ، التى دسها (زورين) فى الفراغ الخاص بها ، فى وحدة جهاز كمبيوتر كبير ، موضوع على المائدة ، ثم انتقلت أبصارهم إلى الشاشة ، و (زورين) يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلا :
ـ هنا ستجدون أسماء كل حلفائنا ، فى أركان الاتحاد السوفيتى المختلفة .. وكما ترون ، ففيهم جنرالات من الجيش ، والبحرية ، والطيران ، وخبراء فى التسليح النووى ، ورجال مال ، واقتصاد ، وسياسة .. أكثر من مليون رجل ، ينتظرون إشارة واحدة منا ، ليبدءوا إعصارنا الساحق .
سأله أحد الرجال الخمسة فى حماس :
ـ ومتى ؟.. متى ينطلق الإعصار الأحمر ؟!
شد (زورين) قامته ، مجيبًا :
ـ لقد بدأ العد التنازلى بالفعل أيها السادة ، وبعد أقل من أسبوعين ، سينقلب كل شىء رأسًا على عقب .. لن يكون الأمر سهلًا ، ولن يقف الأمريكيون صامتين ، حتى تستعيد سطوة الاتحاد السوفيتى ، ونعيد الشيوعية ، التى

اعتبروها دومًا عدوهم الأول .. ولهذا فالخطة قاسية وعنيفة .. سنضحى فيها بالكثير ، فى سبيل النصر الدائم .·. وربما اضطررنا لضرب عدد من الدول بالرءوس النووية ، مثل (أفغانستان) ، و (ألمانيا) و (مصر) ، وفى الخطوة التالية سنضطر إلى ...
قاطعه بغتة أزيز مباغت ، انطلق من جهاز الكمبيوتر ، الذى حملت شاشته عبارة متألقة ، تدخل خارجى ، .. امتقع لها وجه (زورين) ، وهتف فى ارتياع عصبى :
ـ مستحيل !.. مستحيل !.. ماذا يحدث هنا يا (بوريس) ؟
انقض ممشوق القامة على جهاز الكمبيوتر ، وانتزعه من مكانه ، ثم أطلق صرخة غاضبة ، وهو يحدق فى ذلك الجسم الصغير ، الذى التصق بقاعدته ، وامتدت منه أسلاك رفيعة إلى داخل الكمبيوتر نفسه ..
وعرف (زورين) ذلك الجسم الصغير من النظرة الأولى ..
إنه جهاز تصنت خاص ، على أجهزة الكمبيوتر ، يلتقط كل ما تحويه ذاكرته الأساسية والإضافية ، ويبثه لاسلكيًا إلى نصفه الآخر ، عبر موجة خاصة ، تنقل كل هذا إلى ذاكرة جهاز كمبيوتر آخر ..
وتفجرت ثورة الغضب والذعر فى نفس (زورين) ، وهو ينتزع الجهاز ، صارخًا :

ـ فعلوها .. فعلوها يا (بوريس) .
توتر الموقف كله فى عنف ، وصرخ أحد الرجال الخمسة :
ـ ماذا حدث ؟.. ماذا حدث ؟
تجاهله (زورين) تمامًا ، وهو يهتف :
ـ ابحث عنه يا (بوريس) .. استعد ما سرقوه منه .. هذا الجهاز قصير المدى ، لن يمكنه البث لأبعد من المبنى المجاور .
زمجر (بوريس) فى وحشية ، واندفع يغادر المكان ، فى حين شهق رجل آخر ، وهو يقول فى هلع :
ـ (زورين) .. لقد كشفوا أمرنا .. أليس كذلك ؟!
صاح به (زورين) :
ـ اخرس .. لا تنطق بكلمة واحدة .. لا أحد يمكنه كشف أمرنا .. إنها مشكلة بسيطة ، وسيحلّها (بوريس) فى دقائق معدودة .
وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :
ـ خذوها كلمة منى .
هتف رجل آخر فى ارتياع :
ـ وماذا لو لم ينجح (بوريس) هذا ؟
أجابه (زورين) فى صرامة :
ـ سينجح .. أنا واثق من هذا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف فى حزم :
ـ إنه تلميذى .
فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها (زورين) عبارته ، كان (بوريس) ينطلق كالوحش ، نحو المبنى المجاور ، ولم يكد يبلغه ، حتى لمح رجلًا يغادره مسرعًا ، ويقفز داخل سيارة صغيرة ، وينطلق بها نحوه ، محاولًا الفرار من المكان ..
وبلا تردُّد ، اعترض (بوريس) طريق السيارة ، التى لم تحاول الالتفاف حوله ، وإنما انقضّت عليه مباشرة ، فأطلق زمجرة غاضبة ، وانتظر حتى أصبحت قاب قوسين منه ، فوثب نحوها ، وهو يطلق صرخة مخيفة ، وارتطم بزجاجها الأمامى فى عنف ، ثم تشبّث بها بكل قوته ، وهى تنحرف إلى الشارع الرئيسى ..
وفى قوة عجيبة ، أمسك (بوريس) حاجز النافذة بأصابع كالفولاذ ، وهوى بقبضته على الزجاج الأمامى مرةً ، ومرتين ، وثلاث مرات ..
ومع الضربة الثالثة ، حطّمت قبضته الزجاج ، واخترقته لتهوى على فك قائد السيارة ، الذى تأوّه فى ألم ، وانحرف بالسيارة على الرغم منه ، فارتطمت بإفريز الشارع ، ووثبت على نحو مخيف ، لترتطم بأحد أعمدة الإنارة ، وتنقلب فى عنف ، ثم تنزلق بضعة أمتار فوق الثلوج ، قبل أن تستقر فى وسط الشارع ..

وفى الوقت الذى اندفع فيه عدد من المارة ، مع أحد رجال الشرطة ، نحو السيارة المقلوبة ، كان (بوريس) ، الذى سقط مع الارتطام الأوّل ، ينهض واقفًا ، ويصيح فى صرامة ، وهو يبرز بطاقة ذات طابع خاص :

ـ ابتعدوا .. (كى . جى . بى)(*) .

لم يكن ذلك المصطلح القديم قد فقد رهبته بعد ، لذا فلم يكد (بوريس) ينطقه ، حتى تراجع الجميع فى سرعة ، وجرى بعضهم مبتعدًا عن السيارة ، التى برز الرجل من نافذتها ، وقفز منها إلى الثلوج ، وراح يجرى بكل قوته ، فصاح به (بوريس) ، وهو يبرز مسدسه :

ـ توقف وإلا ..

لم يكن يعنى مجرد التهديد بصيحته هذه ، فقد تبعها بإطلاق النار على الفور ، دون أن يمنح الرجل فرصة لتحديد موقفه ..

واخترقت إحدى رصاصات (بوريس) كتف الرجل ، الذى سقط أرضًا ، ثم عاد ينهض فى سرعة ، ويعاود الجرى بأقصى سرعته ، فوثب (بوريس) متجاوزًا السيارة المقلوبة ، وانطلق يعدو خلفه ، فانتزع الرجل مسدسه بدوره ، واستدار يطلق رصاصتين نحو (بوريس) ،

(*) كى . جى . بى : المخابرات السوفيتية .

الذى ألقى نفسه أرضًا متفاديًا الرصاصتين ، ولكنه لم يكد ينهض ، حتى فوجئ بأن الرجل قد اختفى تمامًا ، فهبّ واقفًا ، وصاح فى غضب :

ـ اللعنة !.. أين ذهب ؟

وانقضّ على رجل الشرطة ، صارخًا فى وجهه :

ـ أين ذهب الرجل ؟

أشار رجل الشرطة إلى شارع جانبى بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

ـ هناك .. هناك .

دفعه (بوريس) فى قسوة ، وانطلق يعدو نحو ذلك الشارع الجانبى ، ولم يكد يبلغه ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى بقع من الدم ، تناثرت فى خط شبه متصل ، حتى مدخل بناية قريبة ، فاندفع نحوها ، وراح يتعقّب بقع الدم ، التى توقّفت عند باب إحدى الشقق ، فتراجع (بوريس) خطوتين ، ثم أطلق النار على رتاج الباب ، وانقضّ عليه يقتحمه فى عنف ..

ومن داخل الشقة ، انطلقت نحوه رصاصتان ، تفاداهما بقفزة جانبية ، ثم وثب أرضًا ، ودار حول نفسه فى خفة ، قبل أن يفرغ خزانة مسدسه كلها فى صدر الرجل ، الذى انتزعته الرصاصات من مكانه ، وقذفت به عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط جثة هامدة ، تاركًا بقعة رهيبة من الدم على الجدار ..



ثم وثب أرضًا ، ودار حول نفسه فى خفة ، قبل أن يفرغ خزانة مسدسه كلها فى صدر الرجل ..

وفى حسم ، نهض (بوريس) ، وألقى نظرة صارمة على جثة غريمه ، قبل أن يدير عينيه فى المكان ..

وفجأة ، انبعث صوت خافت من ركن الردهة ، فالتفت إليه (بوريس) فى سرعة ، وانعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يحدّق فى شاشة جهاز كمبيوتر ، حملت عبارة مستفزة تقول :

- انتهى الإرسال .

وفى غضب ، انقضَّ (بوريس) على جهاز الكمبيوتر ، وزمجر فى غضب ، عندما لمح وصلة الهاتف المرتبطة به ، وانتزع منه الأسطوانة المدمجة فى عنف ، والنيران تشتعل فى أعماقه فى ثورة ..

لقد وصل متأخرًا بضع لحظات ..

وفى هذه اللحظات القليلة ، نجح الرجل فى نقل محتويات الأسطوانة المدمجة ، التى تحمل خطة (زورين) كلها عبر الهاتف ، إلى مكان ما ..

مكان مجهول ..

★ ★ ★

« لقد انتهى أمرنا يا (زورين) .. انتهينا جميعًا .. »

هتف أحد الرجال الخمسة بتلك العبارة فى انهيار ، داخل قاعة الاجتماعات السرية ، فصاح به (زورين) فى صرامة عصبية :

- اصمت يا رجل .. لا تفقد أعصابك بهذه السرعة .

أجابه رجل آخر :

- ولكنه نقل الخطة عبر الهاتف يا (زورين) .. نقل كل التفاصيل ، التى تكفى لإلقاء الجميع فى السجون والمعتقلات ، وتكفى لإعدامنا جميعًا ، لو وقعت فى يد (يلتسن)(*) .

هتف (زورين) فى غضب :

- اصمت يا رجل .. هل نسيت من أنا ؟!.. إننى النائب الأول لرئيس جهاز المخابرات السوفيتى ، ومازلت أمتلك سلطات واسعة ، وشبكة اتصالات لا بأس بها ، تمكننى من تدارك الأمر بقدر الإمكان .

ثم أشار إلى الهاتف ، مستطردًا فى حدة :

- ولقد أجريت اتصالاتى كما رأيتم ، وما هى إلا دقائق معدودة .. و ...

قاطعه رنين الهاتف بغتة ، فاختطف سماعته فى سرعة ، ووضعها على أذنه ، قائلًا :

- هنا (زورين) .. ماذا لديكم ؟

(*) (بوريس يلتسن) : (١٩٣١ -) : رئيس (روسيا) الحالى ، وهى أكبر دويلات الاتحاد السوفيتى السابق ، وهو من كبار المنادين بسياسة الإصلاح الاقتصادى الجديدة ، ولكن سياسته أدت إلى العديد من الأزمات ، وإلى انتشار الفقر والبطالة فى (روسيا) .

التقى حاجباه ، وهو يستمع إلى محدثه فى اهتمام ، قبل أن يغمغم :

- إذن فلم تكن محادثة محلية ، بل كانت محادثة دولية .. رقم فى (برن) .. (سويسرا) .. عظيم .. هذا يعنى أنه ليس جاسوسًا محليًا أو أمريكيًا على الأقل .. نعم .. تابعوا البحث .. كل معلومة جديدة ستفيد كثيرًا بالتأكيد .

وأنهى المحادثة ، وهو يلتفت إلى الرجال الخمسة ، قائلًا :

- لقد نقل الخطة عبر الهاتف ، إلى كمبيوتر آخر فى (برن) .

قال أحدهم متوترًا :

- وما أدراك أنه ليس أحد مكاتب المخابرات المركزية الأمريكية هناك ؟

لوح (زورين) بيده ، قائلًا :

- إننا نحفظ أرقام مكاتبهم فى كل أنحاء العالم ، عن ظهر قلب ..

وعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

- ثم إن ذلك الرجل ، الذى تخلص منه (بوريس) ليس أمريكيًا ، ولا نعتقد أنه عميل للمخابرات المركزية الأمريكية ،

ولا للمكتب السادس البريطانى ، فهو لم يتبع أحد الأساليب التقليدية للجهازين .. إنه ـ على الأرجح ـ يتبع منظمة تجسُّس خاصة ..

هتف أحدهم ذاهلًا :

ـ منظمة تجسُّس خاصة ؟!.. لم أسمع عن هذا فى حياتى قط .

أجابه (زورين) فى حزم :

ـ لأنك لم تعمل فى مجالنا قط .

ثم لوَّح بيده ، وهو يلتقط سمَّاعة الهاتف ، مضيفًا :

ـ ولكن هذا لا يهم ، فأيًّا كان خصمنا ، سنبدأ تحركاتنا من هذه اللحظة ، فهذا أحد الدروس التى تتعلَّمها ، مع خطوتك الأولى فى مجالنا .

وضغط أزرار رقم سرى خاص ، مستطردًا فى حزم :

ـ ألا تضيع لحظة واحدة .

وكان هذا إيذانًا ببدء معركة جديدة .. ورهيبة ..

★ ★ ★

٢ ـ من ؟!..

رفع مدير المخابرات العامة المصرية عينيه ، عن الأوراق التى انهمك طويلًا فى مراجعتها ؛ ليستقبل (أدهم صبرى) فى مكتبه ، وهو يقول فى لهجة حازمة ، تشفُّ عن أهمية الأمر وخطورته :

ـ مرحبًا يا (ن ـ ١) .. اجلس ، فالحديث بيننا سيطول .

اتخذ (أدهم) مجلسه ، وهو يسأل :

ـ هل الأمر خطير إلى هذا الحد يا سيِّدى ؟

أزاح المدير أوراقه جانبًا ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ بالتأكيد .

ثم شبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يسأل فى صرامة :

ـ قل لى يا (ن ـ ١) : ألم تنتبه إلى أن رحلاتك إلى الولايات المتحدة الأمريكية تزايدت إلى حد كبير ، فى الآونة الأخيرة ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- إننى أذهب للاطمئنان على (منى) يا سيِّدى ، فمنذ إصابتها هناك ، ووقوعها ضحية غيبوبة عميقة(*) ، وأنا ...

قاطعه المدير فى حدة :

- عذر أقبح من ذنب يا (ن - ١) .. أنت رجل مخابرات محترف ، وتعلم أن هذا الأسلوب العاطفى مرفوض تمامًا فى عملنا .. أنا أعرف مدى ارتباطك بالرائد (منى توفيق) ، ولكن العمل عمل .. لا ينبغى أبدًا أن نبحث عنك هنا وهناك ، كلما احتجنا إليك .

تنهَّد (أدهم) ، قائلًا :

- أعلم هذا يا سيِّدى ، ولهذا أبذل قصارى جهدى الآن ، فى محاولة لنقل (منى) إلى هنا .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول :

- سيكون هذا أفضل بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- والآن ألق هذا الموضوع خلف ظهرك ، واستمع إلىَّ جيدًا ، فلدى بالفعل أمر بالغ الخطورة ، يحتاج منا إلى تحرّك سريع .

اعتدل (أدهم) ، قائلًا فى اهتمام :

- كلى آذان مصغية يا سيِّدى .

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

اعتدل مدير المخابرات فى مجلسه ، وهو يقول :

- ما سأخبرك به يندرج تحت بند (السرية المطلقة) يا (ن - ١) ، وهذا يعنى عدم إلقاء أية أسئلة ، حول إمكانية حصولنا على هذه المعلومات .. هل تفهم هذا ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا سيِّدى .. بند (السرية المطلقة) ، يعنى أن المعلومات محصورة بينك وبين السيِّد رئيس الجمهورية فحسب .

أومأ المدير برأسه موافقًا ، وقال :

- بالضبط .. والآن استمع إلى قصتى ..

وطوال نصف ساعة كاملة ، راح مدير المخابرات يروى له ما حدث فى (موسكو) ، بكل ما توافر لديه من معلومات دقيقة ، واستمع إليه (أدهم) فى اهتمام شديد ، دون أن يقاطعه ولو لمرة واحدة ، حتى بلغ المدير تلك النقطة ، التى أرسل فيها (زورين) رجاله إلى (برن) ، للبحث عن نسخة الأسطوانة المدمجة ، التى تحوى الخطة كلها ، فقال (أدهم) فى قلق :

- هذا يعنى أننا تأخرنا أربعًا وعشرين ساعة كاملة يا سيِّدى ، مما يمنح الروس بعض التفوّق .

هزّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس كما تتصوَّر ، فعندما وصل الروس إلى ذلك المكان فى (برن) ، عثروا على جهاز كمبيوتر فارغ ، فقد استقبل أحدهم الرسالة ، وسجَّل الخطة على أسطوانة كمبيوتر مدمجة ، ثم اختفى .

قال (أدهم) فى أسف :

ـ إذن فقد غادر (سويسرا) .

عاد مدير المخابرات يهزّ رأسه ، مجيبًا :

ـ ليس بعد .. لدينا من المعلومات ما يؤكِّد لنا أن الخطة لا تزال فى (برن) .

سأله (أدهم) :

ـ وهل تندرج تلك المعلومات تحت بند (السرية المطلقة) أيضًا ؟!

أجابه المدير فى اقتضاب :

ـ نعم ..

ثم أضاف بسرعة :

ـ لا أحد يعلم حتى الآن الجهة التى وراء هذا العمل ، ولكن من الواضح أنها إحدى منظمات التجسُّس الخاصة ، لأنها تتفاوض الآن لبيع ما لديها بأكبر ثمن ممكن .

اعتدل (أدهم) فى مقعده ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ هل تلقينا عرضًا منهم ؟

هزَّ المدير رأسه نفيًا مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ كلَّا للأسف ، فقد اتجهوا بثقلهم كله إلى الأمريكيين ، الذين لم يتردَّدوا لحظة واحدة فى قبول الصفقة ، حتى يمكنهم الحصول على تفاصيل خطة عودة الشيوعية إلى الشرق ، بعد أن تنفسوا الصعداء لانهيارها منذ عدة سنوات .

تراجع (أدهم) فى مقعده ، وصمت لحظة ، قبل أن يقول :

ـ مازلت لا أفهم .. ما دورنا نحن فى اللعبة ؟!.. المفروض أن الأمريكيين يرفضون عودة الشيوعية ، وسيبذلون قصارى جهدهم لكشف الخطة ، وتدمير ذلك الطابور الخامس(*) ، الذى يخطِّط لعودتها ، فلماذا لا نجلس هادئين ، ونكتفى بمراقبة الموقف من بعيد ؟

أجابه المدير :

لأننا نريد نسخة من الخطة يا (أدهم) .. لقد علمنا أنها تتضمَّن ضرب (مصر) بالرءوس النووية السوفيتية ، ولكننا لا نعرف متى وكيف ، ولو حصل الأمريكيون على الخطة وحدهم ، لن نعلم هذا أبدًا ، وربما كان هناك خطر يتهدَّدنا بشكل دائم ، ونحن نجهله حتى هذه اللحظة ، ثم إن

(*) الطابور الخامس : مصطلح ابتكره الألمان ، إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، للدلالة على سلاح من العملاء السريين ، يمكنه التسلُّل إلى أى مكان ، وتحقيق نجاحات كبيرة ، دون أن يتعرَّفه العدو .

للأمريكيين سياسة معقَّدة للغاية ، فى التعامل مع مثل هذه الأمور ، فهم يميلون دائمًا إلى رعاية المعارضة ، والأفكار المضادة فى كل مجتمع ، كوسيلة للضغط على نظم الحكم القائمة ، أو السيطرة عليها ، وإذا ما حصلوا على الخطة ، فربما اكتفوا باغتيال بعض جنرالات وقادة الجيش الروسى ، من المشاركين فى العملية ، ثم وضعوا (زورين) والآخرين تحت سيطرتهم ، بتهديدهم بكشف أمرهم ، وبعدها سيستغلونهم فى عمليات أخرى ، قد يكون من ضمنها تهديد (مصر) بتلك الرءوس النووية ، التى مازلنا نجهل أين هى ، وكيف يمكنها توجيه ضربة مباشرة لنا .

ثم تنهَّد فى عمق ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ باختصار .. ليس من مصلحتنا أن تقع الخطة فى أيدى الأمريكيين ، وليس من مصلحتنا أيضًا أن تظل مجهولة لنا .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ فهمت يا سيِّدى .. المطلوب إذن هو أن نعترض الصفقة ، بين الأمريكيين وتلك المنظمة السرية ، التى مازلنا نجهل كينونتها ، وأن نحصل نحن على الخطة ، ونمنعْ الأمريكيين من حصولهم عليها .

أجابه المدير فى حزم :

ـ بالضبط .. هذه هى مهمتك بالتحديد يا (ن ـ ١) .

نهض (أدهم) ، قائلًا :

ـ ومتى أسافر إلى (برن) يا سيِّدى ؟

أجابه المدير فى هدوء :

ـ خلال ساعتين فحسب يا (ن ـ ١) ، ولكن من الضرورى أن تعرف أمرين بالغى الأهمية .. أوَّلهما أنك لن تعمل وحدك هذه المرة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ لن أعمل وحدى ؟!

أجابه المدير فى صرامة :

ـ نعم يا (ن ـ ١) .. سيشاركك المهمة أحد عملائنا هناك ، وستجد عبارة التعارف السرية بينكما فى الملف الخاص ، الذى ستدرسه قبل سفرك .

لم يرق هذا الأمر لـ (أدهم) ، إلا أنه كان يدرك جيدًا عدم قدرته على رفضه ، فقال فى شىء من الضيق :

ـ فليكن .. ما الأمر الآخر ؟

صمت المدير لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ ستواجه فى هذه العملية اثنين من خصومك القدامى ، أحدهما على رأس الفريق الأمريكى ، والآخر على رأس

الفريق الروسى .. الأوَّل هو (رونالد جير) ، الذى هزمته هزيمة منكرة ، فى عمليتك السابقة فى (كراكس)(★) .

سأله (أدهم) فى شىء من الاهتمام :

ـ وماذا عن الثانى ؟!.. الروسى ؟

أجابه المدير فى حسم :

ـ (كوربوف) .. الكوبرا .. (سيرجى كوربوف) يا (ن ـ ١)(★★) .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن يغمغم (أدهم) :

ـ رائع .. هذا يعنى أنها ستكون عملية قاسية وعنيفة ، و ...

وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يستطرد :

ـ وباردة .. باردة كالثلج .

ولم يدر لحظتها أن حديثه لم يكن مجرَّد رأى أو تعبير ..

بل كان نبوءة ..

نبوءة حقيقية ..

★ ★ ★

« لقد وصل » ..

غمغم (إيفان كينسكى) ، رجل المخابرات الروسى بالعبارة ، فى مطار (برن) ، وهو يومئ برأسه نحو رجل

(★) راجع قصة (المحترف) .. المغامرة رقم ١٠٣

(★★) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم ٥١

أشقر طويل ، صارم الملامح ، يغادر المطار إلى سيارة أمريكية ضخمة ، تقف أمامه مباشرة ، فتطلَّع (سيرجى كوربوف) إلى الرجل بدوره ، ومطَّ شفتيه فى ازدراء ، قائلًا :

ـ آه .. (رونالد جير) ، رجل المخابرات الرأسمالى الصارم .. إنه لا يستطيع مقاومة نزعاته المرفَّهة أبدًا .

هزَّ (إيفان) كتفيه ، قائلًا :

ـ إنه لا يجد داعيًا لهذا ، فقد قضى حياته كلها وسط الرفاهية والرأسمالية .

قال (سيرجى) فى صرامة :

ـ وهذا ما يفسدهم .

تطلَّع إليه (إيفان) فى سخرية ، لم يلبث أن أخفاها فى أعماقه بسرعة ، وهو يغمغم :

ـ ربما .

كانا يتابعان حركة سيارة (جير) فى اهتمام ، وهى تنطلق مبتعدة عن المطار ، فأدار (إيفان) محرِّك سيارتهما بدوره ، قائلًا :

ـ هل نتبعهما ؟

هزَّ (سيرجى) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى بطء :

ـ كلَّا .. (جير) يعرفنى جيدًا ، ولو وقع بصره علىَّ مرة واحدة ، ستفسد العملية كلها .. أترك هذا الأمر لـ (أنستازيا) .. إنها تعرف دورها جيدًا .

سأله (إيفان) فى دهشة :

ـ لماذا أتينا إلى هنا إذن ؟

أجابه (سيرجى) فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

ثم أشعل سيجارة روسية ، نفّاذة الرائحة ، قبل أن يشير بيده ، قائلًا :

ـ هيا .. دعنا نعد إلى مقرّ العمل .

انطلق (إيفان) بالسيارة ، فور سماع العبارة ، ثم ضغط فراملها فى قوة ، عندما كاد يرتطم بشيخ طاعن فى السن ، هبطَ من الإفريز فى اللحظة نفسها ، فصاح (سيرجى) فى غضب بالفرنسية :

ـ ابتعد أيها المأفون .. كدنا ندهسك بإطارات سيارتنا .

لوّح الشيخ بيده ، قائلًا فى تهالك :

ـ ليس هكذا تعامل شيخًا فى عمر والدك .

صاح به (سيرجى) فى صرامة :

ـ أمثالك ينبغى أن يلحقوا بقطار الجحيم أيها الغبى .

ثم أشار إلى (إيفان) بالانطلاق ، فابتعدت سيارتهما فى سرعة ، والشيخ يهزّ رأسه ، مغمغمًا فى أسى :

ـ لم يعد الشباب يحترمون الشيوخ فى هذا الزمن .

قالها ، وهو يتابع السيارة ببصره لحظات ، قبل أن يطلّ من عينيه بريق حيوى ، يتعارض تمامًا مع ملامحه المتغضّنة ، وهو يكمل بالعربية فى سخرية :

ـ إذن فأنت لم تتعرّفنى يا عزيزى الوغد (كوربوف) .. هذا يؤكّد أن تنكرى ناجح تمامًا .

كان تنكر (أدهم) متقنًا بالفعل إلى حد مدهش ، فقد امتلأ وجهه بالتجاعيد ، وبدا رأسه أصلع ، واحتلّ الشيب فوديه بأكملهما ، واختفت عيناه خلف منظار داكن سميك ، وانحنى ظهره على نحو يوحى بضعفه وتهالكه ، وهو يقف أمام مبنى المطار ، فى انتظار ذلك العميل ، الذى أشار إليه مدير المخابرات ، والذى سيتعاون معه فى هذه المهمة ..

وكعادته ، راح (أدهم) يجترّ أفكاره ومعلوماته ، فى وقت الانتظار ..

لقد راجع ذلك الملف ، الذى أعطاه إياه مدير المخابرات كلمة بكلمة ، وحرفًا حرفًا ..

وكل هذا قاده إلى نتيجة واحدة ..

أنه يواجه اثنين من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ..

المخابرات الأمريكية ، والمخابرات السوفيتية ..

هذا بالإضافة إلى منظمة جاسوسية خاصة ، يجهل كل شىء عن نشاطها ، ومدى قوتها وانتشارها ..

والحديث عن المنظمات الخاصة يعيد إلى ذهنه ذكريات شتى ..

ذكريات صراعه مع تلك المنظمة ، التى أنشأتها عدوّته اللدود (سونيا جراهام) يومًا ..

منظمة (سناك)(★) ..

وعلى الرغم منه ، تتداعى الذكريات ، حتى تصل به إلى لقائه الأوّل مع (سونيا)(★★) ..

ثم تصطدم بزواجه منها(★★★) ..

وبالابن الذى أنجبته منه(★★★★) ..

ذلك الابن الذى فرّت به ، واختفت لفترة طويلة ، قضاها فى البحث عنهما ، حتى كان ذلك اللقاء الرهيب بينهما ..

اللقاء الذى فقد فيه ابنه إلى الأبد(★★★★★) ..

« هل ترغب فى عبور الشارع طوليًا يا سيدى ؟!.. »

انتزعته العبارة من أفكاره وذكرياته ، وتعرّف فيها على الفور عبارة السر المتفق عليها ، فاستدار مجيبًا بالفرنسية فى هدوء :

(★) راجع قصة (القناص) .. المغامرة رقم ٩٨

(★★) راجع قصة (أبواب الجحيم) .. المغامرة رقم ١٩

(★★★) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم ٨١

(★★★★) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم ٨٤

(★★★★★) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

ـ بل أفضّل المبيت فى الظل .

ارتطم بصره بابتسامة كبيرة ، فى نفس اللحظة التى التقطت فيها أذنه العبارة الأخيرة من شفرة التعارف :

ـ ولِمَ لا ؟.. ما دامت الشمس ساطعة أكثر مما ينبغى .

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه العميل المنتظر ..

فالواقع أنها كانت مفاجأة له ..

مفاجأة مدهشة .

★ ★ ★



٣ ـ الصفقة ..

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يحدّق فى الشقراء الفاتنة ، التى تقف أمامه ، والتى تبادلت معه منذ لحظة واحدة عبارات شفرة التعارف السرية ، ثم وقفت تبتسم ابتسامة هادئة ساحرة ، تحمل مزيجًا خفيًا من الجذل والخبث ، جعله يقول فى صرامة :

ـ لم يخبرونى أنك أنثى !

ابتسمت الشقراء ، ذات العينين الزرقاويين ، وهى تقول فى شىء من الخبث :

ـ أيصنع هذا فارقًا ؟

اعتدل ، قائلًا :

ـ بالتأكيد .

سألته فى سرعة :

ـ وما هذا الفارق ؟

أجابها فى سرعة مماثلة :

ـ لا يروق لى أن أعمل مع أنثى ، فى الوقت الحالى .

رفعت أحد حاجبيها الجميلين ، وهى تقول فى خبث :



انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يحدّق فى الشقراء الفاتنة ، التى تقف أمامه ..

- عجبًا !.. ما لدى من معلومات عنك ، يؤكد أنك عملت لفترة طويلة مع الزميلة (منى توفيق) .

عقد حاجبيه ، وهو يقول صارمًا :

- الزميلة ؟!

أجابته فى هدوء :

- نعم .. الزميلة (منى توفيق) .. آه .. نسيت أن أقدِّم لك نفسى .. أنا (جيهان فريد) .. ورتبتى نقيب يا سيادة العميد ، و ...

وصمتت بغتة ، لتتلفَّت حولها ، قبل أن تستطرد :

- أليس من الأفضل أن نبتعد عن هنا ؟!.. أخشى أن يثير حديثنا انتباه البعض ، أو ...

قاطعها فى حزم :

- أين سيارتك ؟

أشارت إلى سيارة أنيقة ، قائلة :

- ها هى ذى .

اتجها معًا إلى سيارتها ، التى انطلقت بها على الفور ، وهى تقول :

- هل تعلم أننى والرائد (منى توفيق) تخرَّجنا فى دفعة واحدة ، من أكاديمية الشرطة ؟!.. صحيح أنها تحمل رتبة رائد ، فى حين مازلت أحمل أنا رتبة نقيب ، ولكن هذا يعود إلى أنها قد حصلت على ترقية استثنائية ، بسبب عملها معك .

ثم رمقته بنظرة جانبية ، مستطردة :

- وهذا ما أطمح إليه .

أجابها فى صرامة :

- هناك وجهان لكل عملة ، فربما حصلت (منى) على ترقية استثنائية ، ولكنها ترقد الآن فى غيبوبة عميقة ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده متى تستيقظ منها .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

- القدر لا يسير أبدًا فى خطوط متوازية ، ومن المؤكَّد أننى و (منى) نختلف كثيرًا عن بعضنا .. هل تعلم أن لون شعرى الأشقر هذا طبيعى ؟.. إنه ليس مصبوغًا .. لقد ورثته عن جدتى لأمى ، فهى ذات أصول فرنسية ، و ...

قاطعها فى حزم :

- ما تقريرك عن الموقف ؟!.. هل أرسلت من يتعقَّب (جير) ؟

أجابته فى بساطة :

- بالطبع .. لقد انطلق خلفه أحد رجالنا ، فور مغادرته المطار ، ونحن نعلم أن السفارة الأمريكية قد حجزت له الجناح رقم (٧٠٦) ، فى (جنيف) ، وهذا يعنى أن الصفقة ستُعقد هناك على الأرجح .

قال فى صرامة :

ـ ليس هذا ضروريًا .. فى عالمنا تستخدم الأمور الواضحة للخداع فى المعتاد ، ولو أنهم حجزوا الجناح باسمه فى (جنيف) ، فربما يعنى هذا أن الصفقة لن تتم هناك على الأرجح .

هزَّت كتفيها مرة أخرى ، قائلة :

ـ ربما .. المهم أننا نتتبَّعه طوال الوقت ، ولن يمكنه الإفلات منا قط ..

رمقها بنظرة قصيرة ، قبل أن يغمغم :

ـ ربما :

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

ـ ألا تثق بنا يا سيادة العميد ؟!

تجاهل سؤالها تمامًا ، وكأنه لم يسمعه ، وهو يقول :

ـ اذهبى بنا مباشرة إلى المنزل الآمن ، فأنا فى حاجة إلى تبديل ثيابى ، واتخاذ هيئة أكثر بساطة ، تساعدنى على الحركة .

أدَّت التحية العسكرية فى شىء من المرح ، وهى تقول :

ـ تحت أمرك يا سيادة العميد .

التقى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لا داعى لهذا العبث الطفولى ، ستلفتين الأنظار إلينا بأسلوبك هذا .

ضحكت قائلة :

ـ لست أعتقد هذا ، فهنا لا أحد ينتبه إلى أحد ، أو يلتفت إليه .. كل شخص حر فيما يقول أو يفعل ، ما دام لا يسبِّب ضررًا لغيره .

أشار بيده ، قائلًا :

ـ عظيم .. دعينا نذهب إلى المنزل الآمن أولًا ، ثم نناقش قضية التغريب هذه فيما بعد .

تطلَّعت إليه لحظة فى تساؤل ، وانفرجت شفتاها لحظة ، وكأنها تهمّ بقول شىء ما ، ثم لم تلبث أن لانتِ بالصمت ، وواصلت انطلاقها بالسيارة ، حتى بلغت ذلك المنزل الآمن ، وهناك تخلَّص (أدهم) من تنكره فى هيئة الشيخ ، واكتفى بتنكر بسيط ، فقط شعر أشقر وزوج من العدسات الزرقاء ، وشارب كث ، ومنظار طبى عادى ، ولم يكد يغادر حجرته ، حتى قالت (جيهان) ، مشيرة إلى الهاتف :

ـ رجلنا اتصل ، وأبلغنا أن (جير) داخل السفارة الأمريكية ، التى ذهب إليها فور وصوله ، وربما سيتم عقد الصفقة هناك .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد هذا ، فمندوب المنظمة الخاصة لن يجازف بالذهاب إلى السفارة الأمريكية ، ويضع نفسه بين فكى الأسد ، ليعقد صفقة ، المفروض أن يفرض خلالها شروطه .

قالت فى اهتمام :

ـ آه .. إذن فسيخرج (جير) حتمًا ، لمقابلة مندوب المنظمة .

صمت (أدهم) لحظات مفكّرًا ، ثم قال :

ـ ليس بالضرورة .

تطلّعت إليه فى حيرة وتساؤل ، قبل أن تقول :

ـ هل لك أن تفسّر لى هذا اللغز ؟!.. كيف يمكن أن يلتقى (جير) بمندوب المنظمة السرية ، دون أن يغادر السفارة ، ودون أن يأتى إليه المندوب ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة ، وهو يجيب :

ـ هنا تكمن براعة المخابرات الأمريكية .

قالها ، وابتسامته لا تمنحها سوى الغموض .. كل الغموض ..

★ ★ ★

توقفت سيارة صغيرة أمام السفارة الأمريكية فى (برن) ، وقدّم قائدها أوراق هويته لضابط الأمن ، الذى راجعها فى دقة واهتمام ، ثم أجرى اتصالًا هاتفيًا قصيرًا ، سمح بعده للرجل بالدخول إلى حديقة السفارة ، بصحبة أحد رجال الأمن ، وهناك انتظر الرجل داخل سيارته لبضع دقائق ، قبل أن يظهر (جير) ، الذى عبر الحديقة فى

خطوات واسعة سريعة ، وأشار لرجل الأمن بالانصراف ، ثم دلف إلى السيارة ، وصافح قائدها ، قائلًا :

ـ مستر (ويلسون) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

ـ ومن سواى يا مستر (جير) .

ثم اعتدل يسأله فى اهتمام :

ـ أنت تعرف الغرض من حضورى بالطبع .

أومأ (جير) برأسه إيجابًا ، وأشعل سيجارته ، وهو يسأله :

ـ كم تريدون ثمنًا لها يا مستر (ويلسون) ؟

أجابه (ويلسون) فى هدوء :

ـ هذا يتوقّف على ما تعرضونه يا مستر (جير) .

تواصلت المساومة بينهما ، فى سبيل عقد الصفقة ، وانتقلت كل كلمة ينطقان بها إلى سيارة صغيرة ، تقف فى نهاية الشارع ، ويجلس داخلها (كوربوف) و (إيفان) ، والأوّل يراقب ما يحدث ، عبر منظار خاص بالرؤية الليلية ، فى حين يستخدم الثانى جهاز التصنُّت ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ عظيمة هى التكنولوجيا فى الواقع .. فى الماضى كنا نضطر للمخاطرة ، من أجل زرع أجهزة التصنت ، أما الآن

فشعاع واحد من الليزر ، يمكنه أداء المهمة من بعيد ، وأنت جالس فى أمان(*) .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ اصمت يا (إيفان) ، ودعنى أنصت جيدًا .

كان هناك شىء ما يقلقه ، فى تلك المساومات .. شىء لم يمكنه تحديده بالضبط ، على الرغم مما يشعر به .. ولكن غريزته ، أو خبرته أنبأته بأنه يواجه شيئًا غير منطقى ..

ولثوان ، ظلّ يتابع المشهد فى صمت ، عبر منظاره الخاص ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ أعطنى منظار الكمبيوتر .

ضغط (إيفان) زرًّا فى السيارة ، فانكشفت شاشة كمبيوتر صغيرة ، التقط من جوارها منظارًا مكعبًا ، يتصل بالكمبيوتر عبر أسلاك سميكة ، وناوله لـ (سيرجى كوربوف) ، الذى صوّبه إلى مستر (ويلسون) ، و (إيفان) يسأله :

ـ هل يراودك الشك فى أمر ما ؟

(*) تعتمد أجهزة التصنت الحديثة على إطلاق شعاع غير مرئى من الليزر ، يسقط على المكان المراد التصنت عليه ، ثم يرتد إلى مصدره ، حاملا كل الذبذبات التى التقطها من المكان ، وبوساطة جهاز خاص ، يتم تحويل هذه الذبذبات إلى أصوات مسموعة يمكن تسجيلها فى وضوح .

أجابه (كوربوف) فى صرامة :

ـ الشك لا يفارقنى قط .

التقط المنظار صورة إليكترونية لمستر (ويلسون) ، ونقلها إلى شاشة الكمبيوتر ، فضغط (كوربوف) أزراره فى سرعة ، وتطلّع إلى الشاشة فى اهتمام ، وهى تستعرض المخزون لديها من عشرات الصور ، قبل أن تتوقف عند صورة قريبة الشبه من مستر (ويلسون) ، وتحمل بيانات تقول :

ـ (روبرت كالوتشى) .. موظف إدارى بالمبنى الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية فى (فرجينيا) .. العمر خمس وأربعون سنة .. يتعاون أحيانًا مع الجهاز التنفيذى ، وجهاز العمليات الخارجية .. متزوّج وله طفلان ، و ...

لم يهتم (كوربوف) بباقى المعلومات والتفاصيل ، وهو يقول فى حدة :

ـ اللعنة !.. كنت أشعر بهذا .

أما (إيفان) ، فسأله فى توتر :

ـ ما الذى تعنيه هذه المعلومات ؟!

أجابه فى غضب :

ـ لقد خدعونا .. الأمريكيون خدعونا .. (رونالد جير)

كان مجرَّد فخ لاستدراجنا فحسب ، وهذا الممثل السخيف يتظاهر بأنه عميل المنظمة الخاصة ، فى حين أنه مجرَّد موظف فى المخابرات الأمريكية .. لقد وضعوا بعض العسل لجذب الذباب ، فى حين يتمّ عقد الصفقة فى مكانٍ آخر .

سأله (إيفان) فى توتر :

ـ أين يا (كوربوف) ؟.. أين ؟

صاح (كوربوف) :

ـ اللعنة !.. ومن يدرى ؟!.. لقد خدعونا يا رجل .. خدعونا .

قالها ، وكل خلية من خلاياه تصرخ فى ثورة غضب .. كل خلية ..

★ ★ ★

« كنت على حق يا سيادة العميد .. »

نطقت (جيهان) العبارة فى اهتمام بالغ ، وهى تجلس أمام جهاز الكمبيوتر ، قبل أن تستطرد فى حماس :

ـ لقد وصل اليوم سرًّا إلى (برن) ، رجل آخر من رجال المخابرات الأمريكية ، يعدّ أكثر أهمية وخطورة من (جير) ، اسمه (ريتشارد كيلرمان) .

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة ، قائلًا :

ـ (كيلرمان) بنفسه ؟!.. من الواضح أن الأمريكيين

يعتبرون هذه الصفقة بالغة الخطورة ، إلى الحد الذى يرسلون معه أشرس رجالهم لعقدها ..

ثم مال نحو الكمبيوتر ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ ولكن هل وصل مستخدمًا اسمه الحقيقى ؟

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ كلَّا .. لقد استخدم اسمًا مستعارًا ، وغيَّر ملامحه بعض الشىء ، ولكننى استخدمت برنامجًا خاصًّا ، يراجع كل الوجوه ، ويطابقها على أرشيفنا الخاص ، وهذا ما كشف أمره .

كانت براعة واضحة منها ، ولكن (أدهم) لم يعلّق على الموقف ، وهو يسألها :

ـ هل علمت أين يقيم (كيلرمان) ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ فى فندق (البحيرة) فى (جنيف) ، تحت اسم (برت كنوبى) .

ألقى نظرة على ساعته ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أتعشَّم أن نصل إلى هناك فى الوقت المناسب .

سألته ، وهى تنهض فى حماس :

ـ هل نبدأ تحركنا الآن ؟!

أجاب فى حزم :

ـ المفروض ألا نضيع لحظة واحدة .

لم تمض دقائق خمس على هذا الحوار ، حتى كانت سيارتها تنطلق بهما إلى (جنيف) ، وهى تسأل (أدهم) فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أننا نستطيع اللحاق بالصفقة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ أعتقد هذا ، فمثل هذه الصفقات لا تتم بنفس السرعة ، التى يمكن أن تتم بها الصفقات التجارية التقليدية ، ثم إن شريعة المنظمات التجسسية الخاصة هى البحث عمن يدفع أكبر ثمن ممكن ، ولن تتم الصفقة مع الأمريكيين ، دون الرجوع إلى المشترين المحتملين الآخرين .. إنهم يسعون لمعرفة ما يعرضه الأمريكيون فحسب .

غمغمت :

ـ أرجو هذا .

ثم أضافت فى حماس :

ـ المهم أن نتحرك فى سرعة ، وما أن يُخرج مندوب المنظمة تلك الأسطوانة المدمجة ، حتى تنقضَّ عليه ، وننتزعها منه ، و ...

قاطعها (أدهم) ساخرًا :

ـ أين تلقيت تدريباتك أيتها النقيب ؟.. فى دار حضانة ؟!

انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

ـ لست أعتقد أن ما قلته سخيفًا أو ساذجًا ، إلى هذا الحد !

أجاب متهكمًا :

ـ حقًا ؟!.. كيف تصوَّرت إذن أن مندوب المنظمة سيذهب لعقد الصفقة ، وهو يحمل الأسطوانة المدمجة ، وكأنه مندوب مبيعات متجوِّل ، يتقاضى ثمن السلعة ، ثم يخرجها من حقيبته ، ليسلِّمها للمشترين على الفور ؟

قالت فى حدة :

ـ حسن .. لن أدلى برأيى فيما بعد قط .

أشار بسبَّابته ، قائلًا :

ـ هذا أفضل .

لم يكد ينطقها ، حتى شعر بفظاظته فى التعامل معها ، ولم يدر لماذا فعل هذا !

ألأن وجودها إلى جواره يذكره بـ (منى) ، ومغامراتهما المشتركة ؟!

أم لأنها تختلف عنها تمامًا بالفعل كما قالت ؟!..

أم ....

لم يواصل حديثه الصامت مع نفسه ، وهو يسألها فى هدوء :

ـ هل تلقيت دورات تدريبية ؟

أجابته فى تهكم عصبى :

ـ بالطبع .. تلقيت دورة مكثفة فى معاملة الأطفال ، وأخرى موجزة حول أفلام الرسوم المتحرِّكة ، و ...

قاطعها مبتسمًا :

ـ عظيم .. من الواضح أنك تتمتعين بروح مرحة .

نطقها فى رقة أدهشتها ، فالتفتت تحدِّق فى وجهه ، إلا أنه ضحك ، قائلًا :

ـ ولكن هل تلقيت دورة عادية فى القيادة ، تؤكِّد ضرورة النظر إلى الأمام ، عندما يقود المرء سيارة رياضية ، بسرعة تتجاوز المائة كيلو متر ؟

خفق قلبها مع عبارته المرحة ، وقالت مبتسمة :

ـ أعتقد أننى أذكر شيئًا كهذا .

كانت هذه المبادرة منه تذيب ذلك الحاجز الجليدى بينهما ، وكأنه يعتذر عن فظاظته السابقة ، مما أشعرها بارتياح غامر ، وهى تسأله :

ماذا ينبغى أن نفعل فى رأيك ؟

استرخى فى مقعده ، وهو يجيب :

ـ نحدِّد هوية مندوب المنظمة التجسسية الخاصة .

سألته فى اهتمام :

ـ ثم ماذا ؟

أسبل جفنيه ، وابتسم متمتمًا :

ـ ثم يبدأ السباق الحقيقى .

قالها دون أن يضيف حرفًا ..

ودون أن تلقى هى سؤالًا إضافيًا ..

لقد أدركت أن القتال قد بدأ ..

القتال الحقيقى .

* * *



٤ ـ المندوب ..

لم يكد رنين الهاتف ينطلق ، فى حجرة (ريتشارد كيلرمان) ، حتى التقط سمّاعته ، ووضعها على أذنه ، قائلًا فى برود :

ـ (كنوبى) ... من المتحدّث ؟

أتاه صوت أكثر برودة ، يقول :

ـ أعتقد أن لدىّ شيئًا تريدونه .

استرخى (كيلرمان) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ أنا أيضًا أعتقد هذا .. متى نلتقى لنتباحث فى هذا الأمر ؟

أجاب صاحب الصوت الثلجى :

ـ الآن يبدو وقتًا مناسبًا .

التقى حاجبا (كيلرمان) ، وهو يقول :

ـ من أين تتحدّث بالضبط ؟

أجابه الرجل :

ـ ليس هذا من شأنك .. كل ما عليك هو أن تهبط إلى بهو الاستقبال ، وهناك ستجد شخصًا ضخم الجثة ، على

نحو يجعله أشبه بالغوريلا ، تقدّم نحوه ، وقل له : إنك مستعد لمقابلة مستر (ستيفان) ، وهو سيقوم بالباقى .

سأله (كيلرمان) فى اهتمام :

ـ والمفروض أنك مستر (ستيفان) هذا .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل فى برود :

ـ أسرع يا مستر (كنوبى) .. لو انتظر الرجل لعشر دقائق أخرى ، سينصرف فورًا ، وستفشل الصفقة تمامًا .

قالها ، وأنهى المحادثة فى حركة مباغتة ، جعلت (كيلرمان) يعقد حاجبيه فى حدة ، ويقول :

ـ يا للوغد !

ثم نهض يلتقط معطفه ، ودسّ مسدسه فى حزامه ، ثم التقط مسدسًا آخر صغير الحجم ، مصنوعًا من الألياف الزجاجية ، ووضعه فى حزامه من الخلف ، وهو يبتسم فى سخرية ، متمتمًا :

ـ أعتقد أن هذه الصفقة ستحمل إليهم الكثير من المفاجآت حتمًا .

وتحرّك بسرعة ، ليؤدى بعض الأعمال الهامة لتأمين المكان ، ثم هبط إلى بهو الاستقبال ، ودارت عيناه فى المكان ، قبل أن يتوقّف بصره عند الرجل المنشود ..

كان من المستحيل أن تخطئه العين ، حتى ولو وقف وسط شارع شديد الازدحام ، فقد كان هائل الحجم بالفعل ، أشبه بغوريلا عملاقة ، يتجاوز طوله المترين ، ويبلغ محيط صدره ما يقل عن هذا بثلاثين أو أربعين سنتيمترًا ..

أما معطف الفراء الذى يرتديه ، فقد جعله أقرب إلى الدب منه إلى الغوريلا ، لولا رأسه الأصلع المكشوف ، وشاربه الضخم ، الذى يملأ معظم وجهه ..

وفى خطوات حاسمة ، اتجه (كيلرمان) نحو العملاق ، وقال :

ـ أنا مستعد لمقابلة مستر (ستيفان) .

مال العملاق بعينيه ، ليلقى عليه نظرة متفحصة ، ثم استدار قائلًا فى غلظة :

ـ اتبعنى .

تبعه (كيلرمان) فى صمت عبر ممرات الفندق ، والعملاق يقوده إلى المطابخ ، ويتجاوز به حجرات التنظيف والبخار ، ثم يعبر معه الباب الخلفى للفندق ، إلى شارع ضيق ، احتلته بالكامل سيارة ضخمة ، فتح العملاق بابها الخلفى ، وأشار إلى (كيلرمان) فى صمت ، فدلف إليها ، ولم يكد يفعل ، حتى أغلق العملاق بابها ، ثم قفز فى خفة لا تتناسب مع ضخامته ، واحتلّ مقعد القيادة كله ، وانطلق بالسيارة ..

ولم تكد السيارة تتجاوز الشارع الضيق ، إلى الشارع الرئيسى ، حتى غمغمت (جيهان) داخل سيارتها الرياضية ، التى تقف على مقربة :

ـ أنت مدهش يا سيادة العميد .. كيف توقّعت أن اللقاء لن يتمّ فى الفندق ، وأنهم سيخرجون (كيلرمان) من الباب الخلفى !؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ـ مزيج من الحدس والاستنتاج ، واجترار الخبرات السابقة .

سألته فى اهتمام :

ـ هل نتبعهما إلى حيث تتم الصفقة ؟

فتح باب السيارة ، وهو يقول :

ـ بل ستتبعينهما وحدك ، فالصفقة لن تتم الآن .

وغادر السيارة ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ احرصى على ألا يفلتا منك أبدًا ، وألّا يشعرا بأنك تراقبينهما ، وأخبرينى أين استقرّ بهما المقام بالضبط .

سألته فى قلق :

ـ وماذا عنك ؟

ابتسم ساخرًا ، وهو يقول :

ـ فليهتمّ كل منا بدوره فحسب يا زميلتى العزيزة .

لم تدر لماذا خفق قلبها فى قوة ، عندما خاطبها بهذا اللقب ، ولكنها وجدت نفسها تقول فى حماس :

ـ أوامرك يا سيادة العميد .. أنت قائدى .

ومنحته ابتسامة ساحرة ، ثم انطلقت خلف السيارة الضخمة ، فتبعها ببصره لحظات فى صمت ، قبل أن يغمغم :

ـ آمل أن تؤدى دورها جيدًا .

قالها ، واتجه فى هدوء إلى الفندق ، واستقلّ مصعده فى بساطة ، ليصعد إلى نفس الطابق ، الذى يضمّ جناح (كيلرمان) .

كانت هناك آلة تصوير للمراقبة فى ركن الممر ، ولكنه تحرّك فى ثقة وهدوء ، وعلى نحو لا يمكن أن يثير أدنى شك ، وأولى ظهره للآلة ، وهو يتظاهر باستخدام مفتاح الجناح لفتحه ..

وفى سرعة ، جابت عيناه الباب ، بحثًا عن أية علامات تأمينية ، تركها (كيلرمان) خلفه ، و ...

وفجأة ، توقّفت عيناه عند خيط دقيق للغاية ، ثبّته (كيلرمان) بين ضلفتى الباب ، بحيث يتمزّق تلقائيًا ، لو فتح أحدهم الباب عنوة ..

وفى هدوء ، عالج (أدهم) رتاج الباب ، ثم ضغط أحد

طرفى الخيط ، ودفع الباب فى هدوء ، ودلف إلى الحجرة ، ثم رفع إبهامه عن الخيط ، الذى تعلّق من هذا الطرف ، وظلّ فى موضعه ، فى حين أغلق (أدهم) الباب خلفه فى حرص ، ودارت عيناه فى المكان ، تفحصانه بنظرة خبيرة مدرّبة ..

وفى المعتاد ، يحتاج هذا الأمر إلى إخصائيين ، يطلق عليهم اسم (فرقة التنظيف) ، لفحص الإجراءات التأمينية فى المكان قبيل تفتيشه ، وإعادتها إلى موضعها ، فور الانتهاء مما ينبغى عمله(★) ..

ولكن (أدهم) استثناء من كل قاعدة ..

لقد تلقى تدريبًا خاصًا على عملية التنظيف هذه ، قبل أن يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر ، ومن سمات (أدهم) أنه يصقل دائمًا مواهبه ، ويواظب على التدرُّب على كل ما يتعلّمه ، وما يكتسبه من خبرات ..

وهذا ما جعله خبيرًا فى هذا المضمار ..

لقد التقطت عيناه انبعاجًا خفيفًا فى طرف البساط الأنيق ، الذى يحتلّ المدخل ، فانحنى يرفع طرف البساط ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، مغمغمًا :

ـ كنت أتوقّع هذه البراعة يا (كيلرمان) .

(★) حقيقة .



كانت هناك قطعة صغيرة من البسكويت ، تستقر تحت البساط ..

كانت هناك قطعة صغيرة من البسكويت ، تستقر تحت البساط ..

قطعة تكفى ضغطة قدم بسيطة لسحقها ، والتدليل على اقتحام متسلّل إلى المكان ..

وفى بساطة ، تجاوز (أدهم) البساط كله ، وراح يفحص المكان فى سرعة ومهارة ، وعندما انتهى من عمله ، تراجع فى هدوء ، وغادر المكان ، ثم أغلق الباب خلفه فى إحكام ، وأعاد الخيط إلى موضعه ، و ...

« حذار أن تبدر منك أية حركة مريبة .. »

صكّت العبارة مسامعه بغتة ، مع فوهة المسدس ، التى انغرست فى معطفه من الخلف ، على نحو أدهشه وأحنقه ، وجعله يتساءل : كيف لم ينتبه إلى ذلك الشخص ، الذى تسلّل من خلفه هكذا ، ولكنه كتم كل هذا فى أعماقه ، وهو يقول :

- هل يمكننى أن أستدير ، أم أنك ستعتبر استدارتى حركة مريبة ؟!

أجابه الرجل فى صرامة :

- استدر فى بطء ، ويداك فوق رأسك .

استدار (أدهم) فى بطء ، وتطلّع إلى وجه محدّثه فى اهتمام ..

كان شابًا مفتول العضلات ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، توحى ملامحه بأنه ينتمى إلى الجنس القوقازى ، الذى ينتشر فى شمال وشرق (آسيا) ..

وقدّر (أدهم) أنه روسى الجنسية ، قبل حتى أن يقول الشاب فى صرامة ، بلغته الفرنسية ، ذات اللكنة الشرقية :

ـ أنت تعمل لحساب (كيلرمان) .. أليس كذلك ؟

أدار (أدهم) عينيه إلى نقطة ما خلف الشاب ، وكأنه يتطلّع إلى شىء ما ، قبل أن يقول متظاهرًا بالارتياح :

ـ بالطبع .. أنا أعمل لحساب مستر (كيلرمان) .

انعقد حاجبا الشاب ، وهو يتابع نظرة (أدهم) ، ثم وقع فى الفخ بسرعة ، فاستدار إلى الخلف متوترًا ، و ...

وكان هذا كل ما يحتاج إليه (أدهم) ..

لقد تحرّك بسرعة البرق ، فأمسك معصم الروسى ، وأمال فوهة المسدس بعيدًا ، ثم هوى على فك الشاب بلكمة كالقنبلة ، ارتد لها إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بالجدار فى قوة ..

ولكن العجيب أنه لم يسقط ..

لقد احتقن وجهه بشدة ، واشتعلت شياطين الغضب كلها فى ملامحه ، وهو ينقضّ على (أدهم) ، ويكيل له لكمة قوية مباغتة ، أصابت فكه فى عنف ، ودفعته إلى الخلف ،

فانحنى يتفادى الثانية فى سرعة ، وانقضّ بقبضته على معدة الروسى ، الذى أطلق شهقة غاضبة ، وانثنى إلى الأمام ، فعاجله (أدهم) بلكمة أخرى ، أعادته إلى وضعه الأوّل ، وهو يطلق سبابًا غاضبًا ، أخرسه (أدهم) بقفزة رشيقة ، وركلة بالغة القوة ، فى أنف الروسى مباشرة ..

كانت ضرباته أشبه بقنابل عنيفة ، تلقّاها الشاب فى صلابة مدهشة ، وهو يهتف بالروسية :

ـ اللعنة !.. اللعنة عليك !

ثم ألقى نفسه على (أدهم) ، وأحاط وسطه بذراعيه فى قوة ، وهو يندفع نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ، فى نهاية الممر ..

وبكل قوته ، ركل (أدهم) الشاب فى ساقيه وفخذيه ، وهو يقاتل للتملّص من ذراعيه القويتين ..

ولكن الشاب انقضّ على النافذة بكل قوته ..

وفى نفس اللحظة التى تحطّم فيها زجاج النافذة بدوى عنيف ، أفلت الشاب (أدهم) ، الذى وجد نفسه يندفع خارج الفندق ، ثم يهوى ..

ومن ارتفاع ستة طوابق ..

★ ★ ★

على الرغم من المناورات المعقَّدة ، التى قام بها العملاق ، واصلت (جيهان) تتبعَه فى مهارة ، حتى وصلت به السيارة الكبيرة إلى فيلا أنيقة ، عند أطراف المدينة ، استوقفه حرَاسها الثلاثة لحظات ، قبل أن يسمحوا له بالدخول ..

ووقفت (جيهان) بسيارتها ، على مسافة عشرة أمتار من الفيلا ، وغمغمت :

- أهى نهاية الرحلة ، أم أنكم تقومون بمناورة جديدة ؟

أطفأت أنوار السيارة كلها ، وجلست تراقب الفيلا لعشر دقائق كاملة ، دون أن يستجد جديد ، فسألت نفسها :

- تُرى هل اقتصرت أوامر (أدهم) على تتبعى للسيارة ، أم أنه يجب أن أبذل مزيدًا من الجهد ؛ للتأكد من أن هذا هو المكان الصحيح ؟

كانت تشعر بالملل ، لجلوسها صامتة على هذا النحو ، لذا فقد هزَّت كتفيها ، وابتسمت لنفسها فى سخرية ، مستطردة :

- المفروض أن عملنا لا يقتصر على طاعة الأوامر حرفيًا .. لا بأس من جهد إضافى بلا أجر .

واستلَّت مسدسها الصغير ، ثم غادرت السيارة فى حذر ، واتجهت فى خفة نحو الجدار الخلفى للفيلا ، وما إن

بلغته ، حتى التصقت به لحظة ، وهى تتنفس فى سرعة وتوتر ، ثم تحرَّكت بمحاذاته فى خطوات سريعة ، وانحرفت معه إلى اليسار ، و ...

« يا للشيطان !.. من أنت ؟!.. »

فوجئت بنفسها وجهًا لوجه ، أمام حارس ضخم قوى ، حدَّق فى وجهها لحظة بدهشة ، وهو يهتف بعبارته ، ثم رفع فوهة مدفعه الآلى فى وجهها ، و ...

وأطلقت النار ..

نعم .. هى التى أطلقت النار فى سرعة ، ودون تردّد ، قبل أن يضغط هو زناد مدفعه بجزء من الثانية ..

ووسط الليل الساكن الهادئ ، فى تلك البقعة ، بدا دوى الرصاصة أشبه بانفجار قنبلة ، ردَّدته المنطقة كلها ، مع صرخة الألم ، التى أطلقها الحارس ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفى ثانية واحدة ..

بل فى أقل من الثانية الواحدة ، انقلب كل شىء رأسًا على عقب ..

لقد أضيئت أنوار الفيلا كلها ، وارتفع نباح كلاب متوحشة ، ووقع أقدام تعدو فى كل مكان ، وصوت يهتف بالفرنسية :

- محاولة اقتحام .. إجراءات الأمن القصوى .

ومع كل هذا ، لم يكن بإمكان (جيهان) أن تبقى .. لقد انطلقت تجرى بكل سرعتها ، عائدة إلى سيارتها ، وهى تهتف :

ـ أنت تستحقين هذا .. كان ينبغى أن تطيعى الأوامر فحسب .

سمعت من خلفها أصواتًا تهتف بالفرنسية :

ـ ها هى ذى .. إنها امرأة .. الحقوا بها .

وارتفع نباح الكلاب أكثر وضوحًا ووحشية ، مما جعلها تضاعف من سرعتها على نحو غريزى ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه رصاصات صامتة ، من مسدسات مزوَّدة بكواتم للصوت ، شعرت بها ترتطم بالأرض خلف قدميها ، فوثبت نحو السيارة ، هاتفة :

ـ آه .. هذا ما كان ينقصنى .

ألقت نفسها داخل السيارة ، وأدارت محرِّكها فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى بلغتها فيها الكلاب الشرسة ، ورأت أحدهما يثب على زجاجها الأمامى ، وأنيابه تكاد تخترقه ، من شدة قوتها وحدتها ، فهتفت وهى تنطلق بالسيارة :

ـ ابتعد أيها الوغد .

تشبَّث الكلب بالسيارة بضع لحظات ، فى نفس الوقت

الذى اخترقت فيه عدة رصاصات زجاجها الخلفى ، ومرقت إحداها على قيد سنتيمترات من رأس (جيهان) ، التى مالت ، بالسيارة فى عنف ، فألقت الكلب عن مقدِّمتها ، وانطلقت محاولة الفرار ..

ومن خلفها ، انطلقت ثلاث سيارات قوية ..

وضغطت (جيهان) دوَّاسة الوقود بكل قوتها ، مستعملة خفة وسرعة سيارتها الرياضية ، للفرار من السيارات الثلاث ، وهتفت بتوتر شديد :

ـ ماذا فعلت بنفسك يا (جيهان) ؟.. كان المفروض أن تطيعى أوامر رئيسك ، بدلًا من أن تتورَّطى على هذا النحو .. أخشى ما أخشاه أن تكونى قد أفسدت الخطة كلها بتسرّعك وفضولك .

كانت تنطلق بسرعة مخيفة ، والسيارات الثلاث تطاردها فى استماتة ، ثم انحرفت مع مسار الطريق ، و ...

وفجأة ، وجدت أمامها تلك الحافلة الضخمة ، التى توقَّفت على جانب الطريق ، لتصلح إطارًا تالفًا ..

وصرخت (جيهان) ، وهى تضغط الفرامل فى قوة ، محاولة تفادى الاصطدام :

ـ ربَّاه !.. ألم يجدوا مكانًا أفضل للتوقُّف ؟!

كانت انحرافتها مباغتة ، وضغطتها للفرامل قوية ، لذا فقد فقدت السيارة طريقها ، واختلّ توازنها فى عنف ، فوثبت على نحو مخيف ، ثم انقلبت ، وتدحرجت فى قوة ، وانزلقت بسرعة مخيفة إلى الطريق العكسى ..

وفى اللحظة نفسها ، كانت هناك سيارة كبيرة تنطلق فى الطريق المضاد ..

وفجأة ، وجدت سيارة (جيهان) تنزلق أمامها ..

ولم يكن هناك مفرّ من الارتطام ..

أبدًا ..

★ ★ ★

هوى (أدهم) من ارتفاع ستة طوابق ، وحاول التشبُّث بحاجز النافذة المغطى بالجليد ، إلا أن يده انزلقت ، وتابع جسده السقوط ، حتى ارتطم بمظلة واقية ، تمتدّ من شرفة الطابق الثالث ، فتمزّقت تحت ثقله ، وألقته خارجها ..

وفى هذه المرة ، قبضت أصابعه فى استماتة على القماش الممزّق ، إلا أنه انفصل عن إطاره ، فهوى (أدهم) مرة ثانية ، ليصطدم بسقف المطعم المعلّق ، فى الطابق الثانى ..

وكان الارتطام عنيفًا بالسقف الخشبى ، إلا أن تشبث (أدهم) لجزء من الثانية ، بالقماش الممزّق فى الطابق

الثالث ، كان قد خفّف من سرعته كثيرًا ، فأصابه الارتطام بآلام شديدة ، فى كل عظمة من عظام جسده ، إلا أنه لم يحطّمها ، أو يقتله ..

وعلى الرغم من آلامه ، هبّ (أدهم) واقفًا على قدميه ، ولم يكد يرفع عينيه إلى أعلى ، حتى شاهد الروسى ينحنى خارج النافذة ، ويصوّب إليه مسدسه المزوّد بكاتم للصوت ، و ...

ويضغط الزناد ..

كان صوت الرصاصات أشبه بفحيح ثعبان عجوز ، إلا أن (أدهم) لم ينتظر ليسمعه ، فلم يكد يلمح المسدس المصوّب إليه ، حتى وثب من السقف الخشبى إلى الإطار الذى يحمل اسم الفندق ..

وفى نفس اللحظة ، التى أصابت فيها الرصاصات السقف ، كان (أدهم) يتعلّق بالحروف الكبيرة ، أمام أعين كل رواد المطعم ..

ثم اكتفى بيد واحدة ، تتشبّث بالحروف الضخمة ، وهو يستلّ مسدسه ، ويصوّبه إلى الجدار الزجاجى للمطعم ، المطلّ على البحيرة ..

وانطلقت صرخات رواد المطعم ، وانطلقوا يعدون مبتعدين ، و (أدهم) يهتف :

- هيّا .. ابتعدوا بأقصى سرعة ، فجسدى وحده لن يكفى لاختراق هذا الجدار السميك .

كان الروسى يصوّب إليه مسدسه ثانية ، وهو يقسم ألا يخطئ إصابة هدفه هذه المرة ، عندما أطلق (أدهم) رصاصات مسدسه على الجدار الزجاجى السميك ، قبل أن يثب نحوه بكل قوته ..

وانطلقت رصاصات الروسى ، لتخطئ كلها هدفها ، الذى اخترق الجدار الزجاجى فى عنف ، وسقط داخل المطعم ..

وقبل أن ينهض من مكانه ، كان رجال أمن الفندق يندفعون نحوه ، ويصوبون إليه مسدساتهم ، وأحدهم يصرخ متوترًا :

- توقّف يا هذا ، وإلا أطلقنا النار .

دار (أدهم) حول نفسه بسرعة مدهشة ، وهو يهتف :

- أتقصد هكذا .

قالها ، وهو يطلق الرصاصات المتبقية فى مسدسه ، على مسدسات رجال الأمن الأربعة ..

وكانت مفاجأة مدهشة للجميع ..

لقد أطاحت رصاصاته بمسدسات الرجال الأربعة ، فى آن واحد تقريبًا ، دون أن تصيب أحدهم بخدش واحد ..

والعجيب أن هذا ألقى الرعب فى نفوس الجميع ، بأكثر مما لو نسف (أدهم) رءوس الرجال الأربعة بالفعل ..

وفى صرامة ، أشار (أدهم) بمسدسه الفارغ إلى رجال الأمن ، قائلًا :

- ابتعدوا .

كانت تلك النبرة الآمرة فى صوته ، تكفى لتجميد الدماء فى عروق أشجع الرجال ، فتراجع رجال الأمن الأربعة بحركة سريعة ، وأفسحوا له الطريق ، وكأنهم لا يجرءون على عصيان أمره ، فى حين أعاد هو مسدسه إلى جيبه ، وتقدّم نحو باب المطعم فى خطوات ثابتة ، و ...

وفجأة ، ظهر الروسى الشاب ..

لم يظهر بهدوء ، وإنما اقتحم المكان فى عنف كثور هائج ، وانقضّ على (أدهم) مباشرة ، وأحاط وسطه بذراعيه ، واندفع به نحو الجدار المحطّم ، وهو يطلق صيحة مخيفة ..

ولكن (أدهم) لم يكن مستعدًّا لتكرار الموقف ..

لذا فقد انثنى بحركة مباغتة ، وأجبر الروسى على السقوط معه أرضًا ، ثم دفع ركبته فى معدته ، واستنفر كل قوته ليلقى الروسى خلفه ، ثم قفز واقفًا على قدميه ، واستدار يواجهه ..

ومع استدارته ، استردّ رجال الأمن الأربعة بعض شجاعتهم ، وانقضوا عليه من الخلف ..

وبغتة ، وجد (أدهم) من يمسك ذراعيه ويحيط وسطه وعنقه من الخلف ، فى نفس اللحظة التى ينقض فيها الروسى عليه ، وهو يستلّ مسدسه ، ويطلق صرخة وحشية مخيفة ..

ومع هذا الهجوم المزدوج العنيف ، تضاءلت فرصة نجاة (أدهم) إلى الصفر ..

أو ما تحت الصفر .

★ ★ ★



٥ ـ الفشل ..

لم يكد سائق سيارة النقل الكبيرة يلمح تلك السيارة الرياضية الصغيرة ، التى انزلقت بغتة ، متجاوزة الحد الفاصل بين الطريقين ، حتى انحرف بسيارته فى عنف ، محاولًا تفادى الارتطام ، وكاد ينجح فى هذا بالفعل ..

ولكن السيارة الرياضية توقّفت بغتة ، فى عرض الطريق ..

وبسرعة مدهشة ، انحرف السائق ثانية إلى اليسار ، فارتطم بطرف السيارة ، التى قفزت مرة ثانية إلى الأمام ، ودارت حول نفسها فى عنف ، قبل أن تسقط خارج الطريق ، وتتدحرج وسط الأشجار الطويلة ، ثم ترتطم بإحداها ، وتتوقّف تمامًا ..

ومن بعيد ، لمحت السيارات الثلاث القوية ما حدث ، فانحرفت إلى الطريق العكسى ، وعبرته خلف سيارة النقل ، وما إن توقّفت عند حافة الطريق ، حتى هتف أحد ركابها :

ـ خزان الوقود مشتعل .. ستنفجر السيارة !

لم يكد ينطقها ، حتى دوى الانفجار ..

انفجرت السيارة الرياضية الصغيرة ، واشتعلت فيها النيران ، وسائق النقل يهتف مذعورًا :

ـ لم أفعل شيئًا .. لم يكن بيدى أن أفعل شيئًا .. تلك السيارة قفزت إلى الطريق بغتة ، و ...

قاطعه أحد ركاب السيارات الثلاث فى صرامة :

ـ انصرف يا رجل .. لا شأن لك بهذا .

قال سائق النقل فى توتر :

ـ ولكن الشرطة ، والتحقيقات ، و ...

قاطعه فى صرامة ، وهو يبرز مسدسه :

ـ قلت : انصرف .

شحب وجه السائق ، وتراجع مغمغمًا :

ـ لا بأس يا سيِّدى .. لا بأس .. سأنصرف .

وقفز إلى سيارته مذعورًا ، وانطلق بها مبتعدًا ، وكأنما تطارده شياطين الأرض كلها ..

أما هؤلاء الرجال ، فقد وقفوا يراقبون السيارة المشتعلة لحظات ، ثم قال أحدهم فى تردُّد :

ـ أتعتقد أنها احترقت مع السيارة ؟!

هزَّ زميله كتفيه ، وغمغم :

ـ لا يمكن أن تكون قد نجت .. لقد رأيت بنفسك ما حدث ..

أومأ برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. لقد رأيت ما حدث .

وقفوا بضع لحظات أخرى فى صمت ، ثم عادوا إلى سياراتهم ، وانطلقوا عائدين إلى الفيلا ، تاركين السيارة الرياضية الصغيرة خلفهم تحترق ..

وتحترق ..

وتحترق ..

★ ★ ★

أكثر ما يبغضه (أدهم) ، هو الغدر والخداع ..

أكثر ما يكرهه هو أن يهاجمه خصمه من الخلف ..

إنه لا يهاجم خصمه هكذا قط ..

لا يضرب ضربته إلا فى المواجهة ..

ولكن من المستحيل أن يواجه المرء دائمًا خصومًا شرفاء ..

لقد هاجمه رجال أمن الفندق من الخلف غيلة ، فأمسك اثنان منهما ذراعيه ، وأحاط الثالث وسطه بساعديه ، فى حين قبض الرابع على مؤخرة عنقه فى قوة ..

ولم يدر أحدهم أنهم تعاونوا دون قصد ، لجعله هدفًا سهلًا لخصمه الروسى ، الذى صوَّب إليه مسدسه ، وهو يصرخ بالروسية :

ـ خسرت يا رجل .

ـ لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اعتمد (أدهم) على الرجلين اللذين يمسكان ذراعيه ، ووثب بقدميه فى آن واحد ، فأطاحت اليسرى بالمسدس من يد الروسى ، وركلته اليمنى فى أنفه مباشرة ..

وعندما تراجع الروسى ، مع عنف الركلة ، هبط (أدهم) على الأرض بقدميه ، ثم جذب ذراعه اليمنى إلى الأمام بكل قوته ، ومعها رجل الأمن المتعلّق بها ، وغرس ركبته فى معدته بكل قوته ، فتأوّه رجل الأمن ، وانحنى ، وهو يفلت ذراع (أدهم) اليمنى ، فانطلقت قبضته تحطّم فك الرجل ، ثم أكملت طريقها لتدور حول كتفه ، وتلطم ذلك الذى يقبض على مؤخرة عنقه فى أذنه مباشرة ..

وصرخ الرجل ، وهو يتراجع فى ألم ، ممسكًا أذنه المصابة ، فى حين دارت قبضة (أدهم) اليمنى حول عنقه ، وهو يدفع رجل الأمن الممسك بذراعه اليسرى إلى الأمام ..

والتقت قبضة (أدهم) بفك الشرطى فى صوت مخيف ، أشبه بقرقعة عظام تتحطّم ، قبل أن يسقط رجل الأمن الثالث فاقد الوعى ..

وفى تلك اللحظة ، صاح الروسى :

ـ لن يمكنك أن تربح كل شىء .

قالها ، وهو ينقضّ على (أدهم) ، ويكيل له لكمة كالقنبلة ، أمال (أدهم) رأسه فى مرونة وسرعة مدهشتين لتلافيها ، فاستقرّت على أنف الشرطى الممسك به من الخلف ، وحطمته بصوت مسموع ، وأطاحت بالشرطى نفسه فى عنف ، فانفلت منه (أدهم) ، واستقبل لكمة الروسى التالية على ساعده ، ، قائلًا له بالروسية :

ـ ألا تجيد شيئًا سوى توجيه الضربات أيها الرفيق ؟

ثم هوى على فكه بلكمة ساحقة ، مستطردًا :

ـ إنك حتى لا تفعل هذا بأسلوب سليم .

كانت اللكمة من القوة ، بحيث تكفى لتحطيم فك ثور قوى ، ولكن العجيب أن الروسى اكتفى بصرخة ألم ساخطة ، ثم انقضّ على (أدهم) وأمسكه من وسطه ، وحمله إلى أعلى ، واندفع به نحو الباب ، وهو يطلق صرخة مخيفة :

وعبر الاثنان الباب فى مشهد رهيب ، أثار فزع الجميع ، و (أدهم) يكيل اللكمات للشاب ، هاتفًا :

ـ مِمَّ صنعوك يا هذا ؟! ألا تشعر بالألم قط ؟!..

فقد الشاب توازنه بغتة ، عندما ارتطم بحاجز السلم ، مع الضربة التى أصابه بها (أدهم) بين عينيه ، فسقطا معًا على درجات السلم ، وراحا يتدحرجان فوقها فى

عنف ، عبر طابقين كاملين ، حتى استقرّا فوق درجات سلم الطابق الأوّل ..

كل هذا دون أن يفلت الروسى (أدهم) لحظة واحدة ، فاستجمع هذا الأخير قوته كلها فى قبضتيه ، وهوى بهما على مؤخرة عنق الشاب ، هاتفًا :

- حتى الثيران لها نقاط ضعف .

أطلق الروسى خوارًا جعله أشبه بالثور بالفعل ، وجسده يتهالك فوق السلم .

وفى نفس اللحظة ، التى نهض فيها (أدهم) واقفًا ، ارتفع صوت موظف استقبال الفندق ، وهو يصيح فى هلع :

- أسرعوا .. لقد رأينا المشهد على شاشة المراقبة ، فى الطابق السادس ، ولكننا لم نتصوَّر أبدًا أن تتطوَّر الأمور إلى هذا الحد المخيف .. أسرعوا بالله عليكم .

استدار (أدهم) يتطلَّع إلى رجال الشرطة السويسرية ، الذين يصعدون فى درجات السلم نحوه على عجل ، وأحدهم يشير إليه بمسدسه ، هاتفًا :

- توقَّف يا رجل .. إننا نلقى القبض عليك باسم القانون .

لم يكن (أدهم) مستعدًا لإضاعة الوقت فى تحقيقات الشرطة ، أو استجوابات القضاء ، لذا فقد وثب من الطابق الأوّل إلى الأرض ، هاتفًا :

- فيما بعد .

صاح رجل الشرطة فى ذهول :

- ربّاه !.. لماذا يفعل هذا ؟

أما (أدهم) ، فلم يكد يهبط على قدميه ، حتى انطلق يعدو بكل قوته ، متفاديًا المدخل الرئيسى للفندق ، حيث تقف سيارة الشرطة ، وعبر الممرات الخلفية ، ورجال الشرطة يندفعون خلفه ، ويرتطمون بالأوانى وأدوات التنظيف ، فى قطاع الخدمات ، فى حين يدور (أدهم) حولها فى براعة ، أو يقفز فوقها فى خفة ، حتى بلغ المخرج الخلفى للفندق ، ولكنه لم يكد يعبره بقفزة مرنة ، حتى سمع صوتًا مألوفًا ، يقول بالروسية :

- كنت أعلم أنك ستخرج من هنا .

وقبل أن يلتفت إلى مصدر الصوت ، هوت ضربة عنيفة على مؤخرة رأسه ، و ...

وفقد وعيه على الفور ..

★ ★ ★

أشعل رجل نحيل بالغ الطول سيجاره فى هدوء ، ونفث دخانه فى عنف ، قبل أن يلتفت إلى (كيلرمان) ، قائلًا :

- إنه قصور شديد يا مستر (كنوبى) .. من الواضح أن تلك الشقراء كانت تتعقَّبك إلى هنا .

ابتسم (كيلرمان) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لو أنه هناك قصور ، فهو يعود إليكم يا مستر (ستيفان)
ـ أو أيًا كان اسمك ـ فقد كنت أركب سيارتكم ، وأتبع تعليماتكم ، و ...

قاطعه (ستيفان) بإشارة من يده ، قائلًا :

ـ يبدو أنك لم تفهمنى جيدًا يا مستر (كنوبى) .. كنت أقصد أنه قصور شديد فى كفاءة عملائكم ، الذين لم ينجحوا فى إخفاء أنفسهم ، عندما تعقَّبوك إلى هنا .

انعقد حاجبا (كيلرمان) فى شدة ، وهو يقول محتدًّا :

ـ عملاؤنا ؟!.. لا يوجد هنا أى عملاء سواى يا مستر (ستيفان) .. لقد حضرت وحدى ، طبقًا لاتفاقنا .

ابتسم (ستيفان) فى سخرية خبيثة ، وهو يقول :

ـ ومن قال إنك تتبع تعليماتنا دائمًا يا مستر (كنوبى) ؟!.. ألم يكن من المفروض أن نلتقى بلا أسلحة ؟

أجابه (كيلرمان) فى توتر :

ـ إنكم تضعون بوَّابة أمن عند مدخل الفيلا ، ولقد سلمت سلاحى ، وعبرتها ، ولم تنطلق إشارتها .

نفث (ستيفان) دخان سيجارته ، وهو يقول :

ـ هذا لأن المسدس الآخر ، الذى تخفيه فى حزامك من الخلف ، مصنوع من الألياف الزجاجية ، وليس من المعدن .

صمت (كيلرمان) لحظة ، صوَّب خلالها ثلاثة من الرجال مسدساتهم إلى رأسه ، قبل أن يلتقط المسدس الآخر ، ويقدِّمه لأحدهم ، قائلًا :

ـ فى عملنا ، لا ينبغى أن تمنح ثقتك كاملة .

ابتسم (ستيفان) فى ظفر ، قائلًا :

ـ بالطبع ، وللسبب نفسه نستخدم جهازًا خفيًا للأشعة السينية ، لكشف كل ما يخفيه الزائر عن بوَّابة الأمن التقليدية .

تراجع (كيلرمان) فى مقعده ، قائلًا :

ـ لقد صنعتم من هذه الفيلا قلعة حصينة .

هزَّ (ستيفان) كتفيه ، وهو يقول :

ـ هذا يشعرك بالمزيد من الأمان .. أليس كذلك ؟

مطَّ (كيلرمان) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ ربَّما !

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حسم :

ـ والآن أعتقد أنه من الأفضل ألا نضيع مزيدًا من الوقت .. أين تلك الأسطوانة المدمجة ؟

رفع (ستيفان) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، قبل أن يقول :

ـ بهذه السرعة ؟

أشار (كيلرمان) بيده ، مجيبًا :

- لا داعى للانتظار يا مستر (ستيفان) .. أنتم تظنون أن تلك الشقراء تبعتنى إلى هنا ، وأنها واحدة من عميلاتنا ، وأنا أصرّ على أنها ليست كذلك ، وحتى موتها لن يزيل الشك والقلق فى نفسى ، فكونها لا تعمل لحسابنا ، يعنى أنها تتجسّس علينا ، وهذا أكثر خطورة .

ابتسم (ستيفان) ، مكملًا :

- لذا فأفضل وسيلة هى إنهاء الصفقة ، والحصول على الأسطوانة المدمجة ، فتنتهى العملية ، ويذهب احتمال الفشل .

لوّح (كيلرمان) بيده ، قائلًا فى صرامة :

- عندما يتعلّق الأمر بنا ، لا يوجد احتمال للفشل يا مستر (ستيفان) ، كل ما فى الأمر أننى ، فور حصولى على الأسطوانة ، سأستخدم خطًا هاتفيًا سريًا ، لنقلها إلى كمبيوتر متأهّب ، لدينا هناك فى (فرجينيا)(*) ، وبعدها يمكننى تحطيمها ، واعتبار أن المهمة قد انتهت بنجاح .

أومأ (ستيفان) برأسه إيجابًا ، وقال :

- كل هذا عظيم .. ما دمتم ترغبون فى إنهاء الأمر بهذه السرعة ، فأعتقد أننا لن نتفاوض طويلًا بشأن الثمن الذى نطلبه .

(*) يقع المقر الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية (C. I. A) فى ولاية (فرجينيا) .

التقى حاجبا (كيلرمان) ، وهو يسأل فى حذر :

- وما الثمن الذى تطلبونه يا مستر (ستيفان) ؟

التقط (ستيفان) نفسًا عميقًا من سيجارته ، ونفثه فى قوة ، قبل أن يتطلّع إلى (كيلرمان) ، مجيبًا فى حزن :

- مليارًا .. إننا نطلب مليارًا من الدولارات بالتمام والكمال يا مستر (كنوبى)(*) .

واتسعت عينا (كيلرمان) فى دهشة ، فقد كان هذا الرقم مفاجئًا ..

مفاجئًا بشدة ..

★ ★ ★

« ماذا دهاك يا (أدهم) ؟.. »

تردّد السؤال فى عقله ، الذى يستعيد وعيه فى بطء ، وبدأ يشعر بحركة ما حوله ، وببرودة زائدة ، وهو يتابع حواره الصامت مع نفسه :

- كل شىء يبدو لك مرهقًا ، فى الآونة الأخيرة .. لم تعد حيويتك كما كانت .. لم تعد كما كنت .

كان يبدو وكأنه يعاتب نفسه ، على سقوطه فى أيدى خصومه ، وهو يفتح عينيه فى بطء ، ويحدّق فى الشخص

(*) المليار : ألف مليون .



ابتسم (أدهم) ، وهو ينهض جالسًا ، على طرف الفراش ، وقال :
ــ يبدو أنك كدت تخاطبنى بالرفيق (أدهم) ..

الجالس إلى جواره فى اهتمام ، ويدرك أنه مقيد المعصمين فى إحكام ..

لم يستطع تمييزه فى البداية ، مع ذلك الضباب الخفيف ، الذى يغشى بصره ، والذى لم يلبث أن انجاب فى سرعة ، ليهتف :

ـ آه .. (كوربوف) .. صديقى القديم (سيرجى كوربوف) .

نفث (كوربوف) دخان سيجارته الروسية فى قوة ، قبل أن يقول فى برود :

ـ لست أذكر أبدًا أننا كنا صديقين يا ر... يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) ، وهو ينهض جالسًا ، على طرف الفراش ، وقال :

ـ يبدو أنك كدت تخاطبنى بالرفيق (أدهم) .. ليس من السهل أن يتأقلم المرء على التغيير .. أليس كذلك ؟

رمقه (كوربوف) بنظرة باردة ، وهو يقول :

ـ ربما .

همَّ (أدهم) بالنهوض ، فهبّ شخص ما من منطقة ظل ، فى ركن الحجرة ، وصوَّب إليه مسدسًا كبيرًا فى صرامة شديدة ، فالتفت إليه (أدهم) فى هدوء ، وابتسم فى سخرية ، قائلًا :

- مرحى .. إنه ذلك الوسيم ، الذى اشتبك معى فى الفندق .. قل لى يا هذا : كيف أطلقوا سراحك ؟

أجابه (كوربوف) :

- تدخّلت سفارتنا بالطبع ، فـ (شلينكو) يحمل جواز سفر دبلوماسيًا .

قال (أدهم) متهكمًا :

- اسمه (شلينكو) إذن !.. رائع .. الاسم والشكل يتفقان فى الغلظة والسخافة .. قل لى يا (كوربوف) : أين درّبتم حائط الصد هذا ؟.. أفى حظيرة ثيران ؟!

زمجر (شلينكو) فى غضب ، وجذب إبرة مسدسه الكبير ، ولكن (كوربوف) أشار إليه بالصمت ، وهو يقول :

- شىء مثل هذا ؛ فقد تم تدريب (شلينكو) ضمن برنامج خاص ، بحيث ترتفع درجة احتماله إلى الحد الأقصى .

قال (أدهم) ساخرًا :

- أسلوب جيد ، بالنسبة لمن يتلقى الضربات .

انعقد حاجبا (كوربوف) ، وهو يسأله بغتة :

- ماذا كنت تفعل فى حجرة (كيلرمان) ؟

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يقول :

- (كيلرمان) من ؟!.. لقد تسلّلت إلى حجرة (برت كنوبى) ، و ...

قاطعه (كوربوف) فى صرامة :

- لعبة طريفة يا سيّد (أدهم) ، ولكننى أعتقد أن وقتنا لايسمح لنا بإضاعة ساعة أو ساعتين فى مناورات سخيفة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- أنتم تعلمون بأمر الأسطوانة المدمجة .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء مستفز :

- ربّما .

ازداد انعقاد حاجبى (كوربوف) ، وهو يقول :

- يبدو أنك مازلت تصرّ على إضاعة الوقت يا مستر (أدهم) .. فليكن .. لقد أدركنا مثلك خدعة (جير) ، واستخدمنا الكمبيوتر للبحث عن عميل آخر ، فعثرنا على (كيلرمان) ، وذهبنا إليه ، وبدلًا من أن نجده ، وقعنا على صيد ثمين مثلك .

وتألّقت عيناه الضيقتان ، وهو يضيف :

- فماذا تفعل ، لو أنك فى موضعنا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- أواصل البحث عن (كيلرمان) .

لوّح (كوربوف) بسبّابته أمام وجهه فى بطء ، قبل أن يقول :

ـ خطأ .. (كيلرمان) سيعود إلى حجرته بالفندق ، وسيتولى (إيفان) و (أنستازيا) أمره ، أما الصيد الثمين ، فلا يمكننا إضاعة فرصة نادرة للتخلص منه .

رفع (أدهم) حاجبيه ، فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول ساخرًا :

ـ هل أخيفكم إلى هذا الحد يا عزيزى (كوربوف) ؟

مطَّ الروسى شفتيه ، وهو يجيب :

ـ لا يمكننا إنكار خطورتك يا سيِّد (أدهم) ، ولا مدى ما تجشمنا إياه من متاعب ، كلما التقينا ، ومن المؤكَّد أن وجودك بين صفوف المخابرات المصرية يمنحها نقطة تفوق ، ويضع فى طريقنا دومًا حجر عثرة ، ولا سبيل لإنهاء هذه المشكلة المزدوجة ، إلا ...

بتر عبارته بغتة ، وتراجع فى مقعده ، ورمق (أدهم) بنظرة باردة ، قبل أن يكمل فى صرامة :

ـ إلا بالقضاء التام عليك .

تطلَّع (أدهم) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ وبهذا تزيحنى عن طريقك ، وتنطلق الشيوعية من عقالها ، لتسيطر مرة أخرى على شمال شرق (آسيا) .

بدت الحيرة لحظات على وجه (كوربوف) ، قبل أن يستعيد صرامته ، ويشير إلى (شلينكو) ، قائلًا :

ـ نفِّذ .

زمجر (شلينكو) فى جذل ، واندفع نحو (أدهم) ، و ... وفجأة ، تحرَّك (أدهم) ..

كان معصماه مقيدان خلف ظهره ، ولكن هذا لم يمنعه من القفز فى مرونة ، وركل المسدس من يد (شلينكو) ، ثم دار حول نفسه فى سرعة مذهلة ، ووجَّه ركلة ثانية قوية إلى صدر الروسى ، الذى ارتطم بالجدار ، ثم ارتدَّ فى عنف ، لتستقبله ركلة ثالثة فى أنفه مباشرة .

ولكن (كوربوف) أيضًا تحرَّك فى سرعة ..

لقد انقضَّ على (أدهم) من الخلف ، وكبَّل ذراعيه ووسطه ، وهو يهتف :

ـ إنه لك يا (شلينكو) .

كان الروسى الشاب قد تلقَّى من الركلات ما يكفى لتحطيم رجل ناضج ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، ظلَّ محتفظًا بوعيه ، وهو ينقضَّ على ساقى (أدهم) ، ويمسكهما فى قوة ، ثم يقيِّد كاحليه بسلسلة معدنية سميكة ، فهتف (أدهم) :

ـ يبدو أننى كنت على حق .. إنهم يدربونك فى حظيرة ثيران .

زمجر (شلينكو) ، وهو يلقى (أدهم) أرضًا فى قسوة ، ثم جذبه من السلسلة المعدنية فى قسوة إلى خارج المكان..

وهنا فقط ، انتبه (أدهم) إلى طبيعة المكان ..

إنه كوخ صيد بسيط ، وسط ثلوج الشتاء فى (جنيف) ..

ولقد جذبه (شلينكو) خارجه لعشرة أمتار ، و (كوربوف) يتبعهما فى هدوء ، حتى بلغوا فجوة صناعية ، فى سطح بحيرة متجمِّدة ، وهناك قال (كوربوف) ببروده العجيب :

ـ لا تعتبره أمرًا شخصيًا يا سيِّد (أدهم) .. إنه عمل محض .

ثم أشار إلى (شلينكو) ، الذى ثبت كرة معدنية ثقيلة فى السلسلة ، التى تربط قدمى (أدهم) ، الذى قال ساخرًا :

ـ أعلم هذا يا عزيزى (كوربوف) ، أرجو أن تقدِّر أنت أيضًا هذا ، عندما أعود لأحطِّم أنفك .

ابتسم (كوربوف) فى سخرية ، وأشار إلى (شلينكو) ، الذى حمل (أدهم) فى خفة مدهشة ، و ...

وألقاه فى الفجوة ..

ومع ارتطامه بالماء المثلج ، انتفض جسد (أدهم) فى قوة ، وبدأ محاولاته للتخلُّص من القيود ، وهو يغوص إلى الأعماق ..

ويغوص ..

ويغوص ..

* * *

٦ ـ القــرار ..

سرت موجة عنيفة من التوتر فى جسد (كيلرمان) ، وهو يقف أمام مدير أمن الفندق ، الذى بدا مضطربًا ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف أصف لك ما حدث يا مستر (كنوبى) !.. يبدو أن أحدهم حاول اقتحام حجرتك ، ودار شجار عنيف ، بينه وبين رجل آخر .. والواقع أن كلمة عنيف هذه تبدو متواضعة ، بالنسبة لما حدث يا مستر (كنوبى) ، فقد كان قتالهما أشبه بمعركة زعامة ، بين اثنين من أسود الأدغال .

راح يشرح له ما حدث فى ارتباك ، حتى بلغ تلك اللحظة ، التى أطلق فيها (أدهم) النار ، وأطاح بمسدسات رجال الأمن الأربعة ، فازداد انعقاد حاجبى (كيلرمان) فى شدة ، وهو يقول :

ـ هل اكتفى بإطلاق النار على المسدسات وحدها ؟!

لوَّح مدير الأمن بكفه ، قائلًا فى حيرة :

ـ نعم يا مستر (كنوبى) .. هذا ما حدث بالضبط .. كان بإمكانه قتلهم جميعًا ، ولكنه اكتفى بالإطاحة بمسدساتهم .. هل تصدِّق هذا ؟

لم يكن الرجل ينتظر جوابًا ، فقد طرح سؤاله ، ثم واصل روايته فى ارتباك منفعل ، فى حين تفجَّر عقل (كيلرمان) بتساؤل عنيف ..

لماذا لم يقتل الرجال الأربعة ؟!..

القصة التى سمعها ، تشير إلى صراع بين اثنين من الشقر ، أحدهما روسى ، وهو ذلك الذى ألقى القبض عليه ، وتدخَّلت سفارته للإفراج عنه ..

ولكن ماذا عن الثانى ؟..

ولم يكنّ الأمر بحاجة إلى تفكير عميق ..

رجل واحد فحسب ، فى هذا العالم المعقَّد ، مازال يحتفظ بفطرته الطبيعية ، ويرفض قتل البشر بلا مبرِّر ..

رجل يساوى وحده جيشًا كاملًا كما يؤكِّد ملفه ..

(أدهم صبرى) ..

رجل المخابرات المصرى، الذى صار أشبه بالأسطورة ، فى عالم الغموض والأسرار ..

(أدهم صبرى) ، الذى تتمنى نصف أجهزة المخابرات فى العالم تصفيته ، ويطمح النصف الآخر إلى ضمه إليه ..

وفى توتر ، قاطع (كيلرمان) مدير أمن الفندق ، ليسأله :

ـ أأنت واثق من أنه لم يقتحم الحجرة بالفعل ؟

أجابه الرجل مرتبكًا :

ـ من المؤسف أننا نكتفى بالمراقبة ، ولا نحتفظ بتسجيلات يا مستر (كنوبى) ، ولكن رجال الأمن يؤكدون أنهم كانوا سينتبهون بالتأكيد ، لو جرت محاولة لاقتحام حجرتك ، وصدقنى يا مستر (كنوبى) .. رجالنا كلهم يتميزون بكفاءة نادرة ، ولقد تحرَّكوا فور حدوث الاشتباك ، ولكن ..

قاطعه (كيلرمان) فى صرامة :

ـ لا بأس .. لا بأس .. أنا أصدقك .

ثم اندفع إلى المصعد ، واستقلّه إلى الطابق السادس ، وتوتره يتصاعد مع كل ثانية تمر ..

لم يعد لديه أدنى شكّ فى أن هذا الرجل الثانى هو (أدهم صبرى) ..

وهذا يعنى أن الأمر صار بالغ الحساسية والخطورة ..

وأن المصريين اقتحموا اللعبة ..

وكذلك الروس ..

بدت له المسافة أشبه بميل كامل ، قبل أن يتوقَّف به المصعد فى الطابق السادس ، فغادره فى لهفة ، واتجه إلى جناحه فى خطوات واسعة سريعة ، ولم يكد يصل إليه ، حتى انحنى يبحث عن ذلك الخيط الدقيق ، بين ضلفتى

الباب ، وعندما عثر عليه فى موضعه ، تنفس الصعداء ، وفتح الباب فى حرص ، وأغلقه خلفه فى سرعة ، ثم رفع طرف البساط ، وابتسم فى ثقة ، عندما وجد قطعة البسكويت الرقيقة سليمة ، واعتدل قائلًا :

- إذن فلم يجد زميلنا (أدهم) وقتًا للدخول .

ثم اتجه إلى دولاب ملابسه ، والتقط حقيبته الصغيرة ، وجذب جزءًا من إطارها الأنيق ، ورفعه إلى شفتيه ، قائلًا :

- (جير) .. أنا (كيلرمان) .. هل تسمعنى ؟

كان ذلك الشىء ، الذى يمسك به ، عبارة عن جهاز اتصال بالغ الحساسية ، يتصل بالأقمار الصناعية مباشرة ، وينقل حديثه إلى أية بقعة يشاء ، عبر مدى واسع للغاية ..

وفى مبنى السفارة الأمريكية فى (برن) ، التقط (جير) رسالته ، وسأله فى لهفة :

- ماذا تم يا (كيلرمان) ؟

أجابه (كيلرمان) فى حزم :

- ليست لدى أخبار سارة يا (جير) .. لقد اتصل بى هؤلاء المجانين ، واصطحبونى إلى فيلا فى الضواحى ، وهناك التقيت برجل أطلق على نفسه اسم (ستيفان) ، قال إنه مستعد لمنحنا تلك الأسطوانة المدمجة ، مقابل مليار دولار .

صرخ (جير) :

- كم ؟!.. إنه مجنون حتمًا .. لقد رصدوا مائة مليون دولار فحسب للعملية كلها ، بما فيها التكاليف والمكافآت ، فكيف يطلب وحده مليون دولار ؟!

أجابه (كيلرمان) :

- انتظر يا رجل ، فليس هذا هو الجزء الأسوأ فى الأحداث .. لقد كشف الروس والمصريون أمرى ، ودار بينهما قتال عنيف هنا ، منذ بضع ساعات .

هتف (جير) :

- ماذا ؟.. هذا يجعل الأمر أكثر تعقيدًا .

قال (كيلرمان) فى صرامة :

- بل يجعله أشبه بالكارثة يا (جير) .. هل تعلم من الذى أرسله المصريون للقيام بالمهمة ؟

ودون أن ينتظر جوابًا لسؤاله ، أدنى شفتيه من جهاز الاتصال ، مستطردًا بلهجة خاصة :

- (أدهم صبرى) .

انتفض جسد (جير) فى عنف ، وكاد يقفز إلى الخلف ، وكأنما صعقه تيار كهربى قوى ، وانعقدت صرخة تحمل اسم (أدهم) فى حلقه ، فسعل ثلاث مرات متتالية فى قوة ، وكأنما يلفظها مذعورًا ، قبل أن يجيب فى صوت مبحوح :

- أنت على حق .. إنها كارثة .

أجابه (كيلرمان) فى حزم :

لا يوجد سوى حل واحد لمثل هذا الموقف .

سأله (جير) ، الذى لم يستعد جأشه بعد :

ـ وهو ؟!

أجابه بسرعة :

ـ إنهاء العملية .

سأله فى شىء من العصبية :

ـ هل تدفع مليارًا من الدولارات بهذه البساطة ؟

قال (كيلرمان) فى لهجة سريعة ، تحمل شيئًا من الجذل:

ـ أو نحصل على الأسطوانة المدمجة بأقلّ التكاليف .

صمت (جير) لحظة ، قبل أن يسأله متوترًا :

ـ ما الذى ترمى إليه يا (كيلرمان) ؟

أجابه (كيلرمان) فى استمتاع واضح :

ـ عملية مباشرة يا رجل .. فريق من انتحاريينا يقتحم تلك الفيلا اللعينة ، ويلقى القبض على (ستيفان) ، ونجبره على منحنا تلك الأسطوانة المدمجة ، ثم نكافئه بعدها برصاصة من الذهب الخالص ، فى منتصف جبهته .

صمت (جير) طويلًا هذه المرة ، حتى أن (كيلرمان) غمغم فى لهفة :

ـ ما رأيك ؟

أجابه (جير) فى خفوت :

ـ شن حرب صغيرة كهذه لا يصلح فيه قرارى وحدى

يا (كيلرمان) .. إنه يحتاج إلى قرار حاسم من هناك .. من (واشنطن) .

وكان هذا يعنى ضرورة إجراء سلسلة من الاتصالات السريعة ..

والحاسمة ..

★ ★ ★

كانت المياه باردة كالثلج ، و (أدهم) يغوص فى أعماقها كالحجر ، مع تلك الكرة المعدنية ، التى تجذبه إلى أسفل فى قوة ، عبر تسعة أمتار ، هى عمق البحيرة فى تلك المنطقة ..

ولم يكد جسده يستقر فى القاع ، حتى انثنى جسده فى مرونة مدهشة حتى كادت ركبتاه أن تلتصقا بصدره ، ودفع عجزه بين فراغ ذراعيه ، ثم بذل قصارى جهده ، ليحمل تلك الكرة الثقيلة ، فى هذا الوضع الشاق ، ثم ألقاها بين ذراعيه ، وجذبها إلى الأمام ، ليخلّص قدميه من بينها ..

كانت مناورة أشبه بما يفعله رجال السيرك ، ولكن جسده المرن وإرادته الفولاذية اشتركا لإنجاحها ، حتى تصبح يداه أمام جسده وليستا خلفه ..

ولم يكد ينجح فى هذا ، حتى انحنى يحلّ تلك السلسلة ، التى تربط كاحليه ، والتى تتصل بها الكرة المعدنية الثقيلة ..

وضاقت أنفاسه ، وناء صدره بحمله ، وهو يبذل ذلك الجهد الشاق ، على عمق تسعة أمتار ، وسط مياه مثلّجة كهذه ..

ولكن تيارات الحمل الباردة ، كانت تجعل المياه فى القاع أقل برودة من مثيلتها عند السطح(*) ، مما بث فى جسده قليلًا من النشاط ، الذى ساعده على أداء المهمة ..

وعندما تخلّص من الكرة المعدنية ، كان صدره يكاد ينهار ، مع احتياجه الشديد للأكسجين ..

وبكل قوته ، ضرب (أدهم) قاع البحيرة بقدميه ، ودفع جسده إلى أعلى ، وهو يهتف فى أعماقه :

- حاول أن تحتمل يا (أدهم) .. ابذل قصارى جهدك .. نصف دقيقة أخرى وتتجاوز هذه المحنة .

كان الضغط على أذنيه عنيفًا ، ولم يكن من الممكن أن يصعد إلى السطح دفعة واحدة ، وإلا تكوّنت فقاعات النيتروجين(**) فى دمه ، وقتلته بلا رحمة(***) .

(*) حقيقة علمية .

(**) النيتروجين : عنصر غازى ، لا لون له ، ولا طعم ، ولا رائحة ، رمزه (ن) ، يكوّن حوالى أربعة أخماس الغلاف الجوى ، وهو لا يشتعل ولا يساعد على الاشتعال ، خامل نوعًا ما ، ولكنه يتواجد فى كثير من المركبات الفعّالة ، مثل حمض النيتريك والنشادر ، ويدخل فى تركيب الأحماض النووية .

(***) حقيقة علمية .

لذا فقد كان عليه ، على الرغم من ضيق صدره ، أن يصعد إلى السطح على مراحل منتظمة ..

ولكن المشكلة أنه بشر ..

ولكل بشر احتياجاته ..

وقدراته ..

وعلى الرغم من أن (أدهم) قد تلقّى تدريبات كثيرة ومكثّفة ، زادت من اتساع رئتيه ، وقدرتهما على الاستغناء عن الأكسجين طويلًا ، إلا أن الفترة التى قضاها تحت الماء ، والجهد الذى بذله ، جعلا الهواء ينفد بسرعة من صدره ، فبدأ يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

و ...

فجأة ، ارتطم رأسه بطبقة الجليد ، فى قمة البحيرة ..

ومع الارتطام ، قفزت إلى رأسه فكرتان أساسيتان ..

الأولى أنه فقد الفجوة ، التى يمكنها أن تحمله إلى الخارج ، وصار سجينًا بين مياه البحيرة المثلجة وسطحها المتجمِّد ..

والثانية هى أنه توجد دائمًا طبقة من الهواء ، بين السطح المتجمِّد والمياه(*) .

(*) حقيقة علمية .

وكانت الفكرة الثانية هى أكثر ما يهمه ، فى الوقت الحالى ..

وبسرعة ، أمال رأسه إلى أعلى ، ودفع أنفه وفمه خارج المياه المثلّجة ، وشعر بالهواء البارد يندفع عبرهما ، ويملأ رئتيه ، وينشر فى صدره آلامًا عجيبة ، لم تلبث أن تلاشت فى سرعة ، عندما فقد ذلك الهواء برودته ، مع دفء الجسد الداخلى ، وتمدّد ليملأ صدره ورئتيه ..

وخفق قلبه فى قوة وارتياحٍ ، وهو يحمد الله (سبحانه وتعالى) على أنه كائن من ذوى الدماء الحارة(*) ، وإلا لتجمّد جسده بسرعة ، فى هذه المياه المثلّجة ..

ولكن مازالت أمامه مشكلة كبرى ..

مشكلة البحث عن مخرج ..

وبكل ما يملك من سرعة وقوة ، وفى محاولة لبث الدفء فى جسده ، راح يسبح بمحاذاة السطح المتجمّد ، بحثًا عن الفجوة التى أسقطوه منها إلى المياه المثلّجة ..

ولكن الأمر لم يكن سهلًا أو بسيطًا .

(*) الكائنات ذات الدماء الحارة : كل الثدييات تقريبًا ، وعلى رأسها الإنسان ، من ذوى الدماء الحارة ، وهذا يعنى أن درجة حرارة الدماء فى عروقها تظل ثابتة ، مهما اختلفت درجات الحرارة خارج الجسم فى صعود أو هبوط ، وهذا يمنحها قدرة أكبر على مواجهة أنواع الطقس المختلفة والتكيف معها .

لقد تجمّدت أطرافه ، وبدأ الدوار يكتنف رأسه ، وهو يبحث ، ويبحث ، ويبحث ..

دون جدوى ..

وفى أعماقه ، ارتفعت صرخة ..

قاوم يا (أدهم) ..

قاوم ..

لا تستسلم أبدًا هذه المرة ..

لقد واجهت مواقف أشد عنفًا وصعوبة .. وتجاوزتها ..

فلا تيئس هذه المرة ؟

قاوم ..

قاوم ، واحتمل ..

كان يحاول بث القوة فى نفسه ، ومقاومة تلك الآلام الرهيبة ، التى انتشرت فى أطرافه ، مع البرودة الشديدة ، و ...

وفجأة ، لمح ضوء القمر ..

وخفق قلبه فى عنف ..

هناك إذن فجوة ، تسلّل عبرها ضوء القمر ..

كان الدوار قد سيطر على كيانه كله تقريبًا ، وسلبه القدر الأعظم من وعيه ، إلا أن رؤية ضوء القمر بثت شيئًا من الحماس فى عروقه ، فدفع جسده إلى الأمام ، وراح يقترب من تلك الفجوة ..



وفجأة ، رأى ، عبر الجزء الشفاف ، فوهة بندقية مصوَّبة إليه ..

ويقترب ..
ويقترب ..
ومع كل خطوة يخطوها ، كان دواره يتضاعف ..
ووعيه يتراجع ..
ثم بلغ تلك البقعة ، التى يتسلَّل عبرها ضوء القمر ..
وانتفض قلبه بين ضلوعه ..

إنها لم تكن فجوة وسط السطح الجليدى كما توقع ، بل كانت مجرَّد جزء شفاف من السطح المتجمِّد ..

جزء يشترك مع الأجزاء الأخرى فى القوة والصلابة ..

وعلى الرغم من ثقته فى قوة السطح المتجمِّد ، إلا أنه راح يضربه بكل ما تبقَّى فى يديه المقيدتين من قوة ، و ...

وفجأة ، رأى ، عبر الجزء الشفاف ، فوهة بندقية مصوَّبة إليه ..

ثم دوى صوت رصاصة ..
وأظلمت الدنيا دفعة واحدة ..
وانتهى كل شىء .

★ ★ ★

٧ ـ الثلوج ..

ارتسم قلق واضح على وجه مدير المخابرات المصرية ، وهو يقف فى حجرته الواسعة ، ويتطلع عبر نافذتها الكبيرة إلى ساحة المبنى فى شرود ..

لم يكن قد تلقّى أية تقارير أو برقيات من (أدهم) أو (جيهان) ، منذ وصول الأوّل إلى (برن) ..

ولم يكن هذا أبدًا بالأمر الطبيعى ..

بل كان يشير إلى وقوع شىء ما ..

شىء خطير على الأرجح ..

كان يسبح فى أفكاره ، عندما ارتفع أزيز جهاز الاتصال ، مع صوت مدير مكتبه ، وهو يقول :

ـ برقية من مندوبنا فى (برن) يا سيِّدى .

اندفع المدير إلى مكتبه ، وضغط زر جهاز الاتصال ، قائلًا :

ـ أدخلها على الفور .

لم يمض نصف الدقيقة ، حتى كانت البرقية فى يد مدير المخابرات ، بعد ترجمة شفرتها ، وكانت تؤكِّد فى وضوح أن العميد (أدهم صبرى) ، والنقيب (جيهان فريد) مفقودان ، منذ مساء اليوم السابق ..

وأن (أدهم) قد اختفى ، بعد معركة عنيفة فى فندق (البحيرة) ..

و (جيهان) اختفت بعد انفجار سيارتها ..

ولم تكن هذه البرقية مطمئنة أبدًا ..

بل كانت على العكس تمامًا ، تثير قدرًا هائلًا من القلق ..

ومن الغموض ..

وفى توتر ، أزاح المدير البرقية جانبًا ، وانخرط فى تفكير عميق ، قبل أن يضغط زر جهاز الاتصال ، وهو يقول لمدير مكتبه :

ـ أريد عقد اجتماع عاجل للمساعدين .

وقبل مرور نصف ساعة إضافية ، كان مساعدوه يلتفّون حول مائدة الاجتماعات ، وهو يطرح عليهم الأمر ، ثم يسألهم :

ـ والآن ما الذى تقترحونه ؟.. هل ننتظر قليلًا ، حتى يتضح الموقف ، أم نرسل بديلًا ؟.. ولاحظوا أن الوقت عامل بالغ الأهمية ، فى مثل هذه العمليات ، فالأمريكيون يتحركون دائمًا بسرعة ، والسوفيت لن يضيعوا الوقت فى مهاترات ، وهذا يعنى أننا قد خسرنا كل شىء ، لو أضعنا الوقت بلا طائل .

قال أحد مساعديه فى اهتمام :

- الواقع أننى أولى سيادة العميد (أدهم) ثقة كبيرة يا سيِّدى ، وأعتبره دائمًا الشخص المناسب ، لكل العمليات البالغة الحساسية والخطورة ، ومن رأيى أن نمنحه بضع ساعات أخرى ، قبل أن نرسل بديلًا يربكه ، أو يتعارض معه فى المنهج والأسلوب .

اندفع مساعد آخر ، يقول :

- خطأ .. من الخطأ أن نضيع الوقت ، من أجل احتمال غير مضمون يا سيادة المدير .. إننا لا نعمل للحفاظ على ماء وجه (أدهم صبرى) أو خلافه .. إننا نعمل فقط من أجل (مصر) ، وهذا يعنى أنه لا ينبغى لنا أن نضيع لحظة واحدة ، قد يستفيد منها الخصم ، ويربح المعركة كلها .

راحت المناقشة تدور حول الرأيين ، والمدير يستمع إلى الفريقين فى اهتمام صامت ، حتى يمكنه اتخاذ قرار حاسم ..

ولكن فجأة ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال مرة أخرى ، مع صوت مدير المكتب ، وهو يقول :

- برقية عاجلة من (برن) يا سيادة المدير .

ضغط المدير زر الاتصال ، وهو يقول فى لهفة واضحة ، لم يستطع أو يحاول اخفاءها :

- أحضرها على الفور .

ولم تكد البرقية تصل ، حتى طالعها المدير فى لهفة ، ثم رفع عينيه إلى مساعديه ، الذين لاذوا بالصمت ، وتطلَّعوا إليه فى ترقب متسائل ، وقال :

- هذه البرقية أتت فى موعدها بالضبط يا رجال ، فهى تضع النقط على الحروف ، وتحسم مناقشتنا .

وناول البرقية لأقرب مساعديه ، مستطردًا :

- تحسمها تمامًا .

وكان على حق ..

لقد حسمت البرقية المناقشة ..

تمامًا ..

★ ★ ★

كانت الشمس تبدأ رحلة الصعود ، فى تلك المنطقة ، عند أطراف (جنيف) ، عندما استعاد عقل (أدهم) وعيه بغتة ، وفتح عينيه ، ليتطلَّع إلى ما حوله فى دهشة ..

كان يرقد فوق فراش وثير ، ويتدثَّر بغطاء من الفراء السميك ، داخل حجرة أنيقة ، فى واحد من أكواخ الصيد ، والدفء يحيط بالمكان كله ..

ونهض (أدهم) جالسًا فى حيرة ، وهو يتساءل : من أتى به إلى هذا المكان ؟..

ومتى ؟!..

وكيف ؟!..

لم يكن يرتدى ثيابه أو معطفه ، وإنما يرتدى ثوبًا آخر ، لشخص أقصر منه قامة ، وأكثر بدانة ..

وفى حذر ، نهض (أدهم) ، واتجه إلى باب الحجرة على أطراف أصابعه ، وقبل أن يبلغه ، انفتح الباب فجأة ، وظهر على بابه شخص قصير ، أقرب إلى البدانة ، هتف فى ارتياح :

ـ إذن فقد استعدت وعيك .

ثم أطلق ضحكة قصيرة ، مستطردًا :

ـ شكلك يبدو مضحكًا فى ثيابى ، ولكنها كانت كل ما لدى ، فلو تركتك داخل ثيابك المبتلة ، فى مثل هذا الطقس ، لتجمَّدت فوق جسدك ، وأصابتك بأضرار بالغة .

تطلَّع إليه (أدهم) فى هدوء ، ثم ابتسم قائلًا بنفس اللغة الفرنسية ، التى يتحدَّث بها الرجل :

ـ إذن فأنت الذى أنقذ حياتى .

ابتسم الرجل ، قائلًا :

ـ من حسن حظك .. لقد خرجت ليلًا ، لاصطياد ثعلب من ثعالب الثلوج ، وسمعت طرقات على سطح البحيرة المتجمِّد ، فاتجهت إليه فى دهشة ، وفوجئت بك تحته ، تقاتل لإنقاذ حياتك .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ ولماذا أطلقت النار ؟

قلب الرجل كفيه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ وهل تصوَّرت أنه يمكننى أن أكسر سطح البحيرة بقبضتى لأخرجك ؟

مدَّ (أدهم) يده يصافحه ، قائلًا فى امتنان :

ـ إننى مدين لك بحياتى .

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

ـ كم يسعدنى أن أقوم بعمل بطولى ، ولو لمرة واحدة فى حياتى كلها .

ثم أشار إلى الخارج ، مستطردًا :

ـ وبالمناسبة ، لقد وضعت ثيابك على المجفِّف ، وهى جافة تمامًا الآن ، ويمكنك أن ترتديها .. لقد أعددت طعام الإفطار .

ابتسم (أدهم) ، قائلًا :

ـ كيف يمكننى أن أشكرك ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلًا :

ـ ستجد وسيلة بالتأكيد .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ولكن أخبرنى .. لقد كنت مقيَّد المعصمين عندما عثرت عليك .. أهذا عمل إحدى العصابات ؟

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ بل يمكنك اعتباره نوعًا من أنواع المنافسة فى العمل .

لوَّح الرجل بكفه ، هاتفًا :

- آه .. أعرف هذه المنافسات اللعينة ، وما يمكن أن تقود إليه .. سأضطر لبيع هذا الكوخ ، فى غضون الأيام القليلة القائمة بسببها .

ثم تنهَّد ، مستطردًا :

- ولكن دعنا من حديث الذكريات المؤسف هذا ، ولنتناول طعام الإفطار أوَّلا ، قبل أن أنقلك إلى المدينة ، لتبلغ الشرطة عما فعلوه بك .. هيًا .

تنحنح (أدهم) ، قائلًا :

- معذرة ، يؤسفنى أننى مضطر لرفض دعوتك الكريمة يا سيد ..

أجابه الرجل فى سرعة :

- (جارفيلد) .. (دين جارفيلد) .. صاحب متجر (جارفيلد) للأغذية فى وسط المدينة ، والمشرف على الإفلاس .

أومأ (أدهم) برأسه ، مغمغمًا :

- إنه لم يفلس بعد يا سيد (جارفيلد) .

هزَّ (جارفيلد) رأسه ، قائلًا وابتسامته لم تفارق شفتيه :

- إنها مسألة وقت يا رجل .

قال (أدهم) فى هدوء :

- من يدرى ؟

ثم أضاف بسرعة :

- المهم أننى مضطر لرفض دعوتك ، والانطلاق فورًا إلى المدينة ، فقد فقدت وقتًا ثمينًا يصعب تعويضه ، ولست أرغب فى إضاعة المزيد .

قال (جارفيلد) فى حماس :

- فليكن .. أستطيع تقدير هذا .. ارتد ملابسك ، وسأنقلك إلى حيث تريد فورًا .

كان الرجل كريمًا وبسيطًا بالفعل ، ولقد نقل (أدهم) إلى المدينة ، وهناك استقل (أدهم) واحدة من سيارات الأجرة ، متجهًا إلى المنزل الآمن ، الذى لم يكد يصل إليه ، حتى استقبله صوت غاضب يقول :

- أين كنت ؟!.. إننى أبحث عنك طوال الوقت .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

- (جيهـان) .

كانت شاحبة إلى حد مخيف ، وهناك خدش واضح فى جبهتها ، وآخر بطول ذراعها ، مما جعله يسألها ، وهو يغلق الباب خلفه :

- ماذا أصابك ؟

روت له كل ما حدث ، وتوقفت لحظة لتلتقط أنفاسها ، ثم تابعت :

ـ كان الحادث كفيلًا بقتلى ، لولا تشبثى الشديد بمقعدى ، وحزام الأمان الذى أحرص على استخدامه ، كلما قدت سيارتى ، ونجاحى فى القفز خارج السيارة ، قبيل انفجارها .. لقد اختفيت بين الأشجار ، وشاهدت هؤلاء الأوغاد وهم يتناقشون بشأن موتى ، قبل عودتهم إلى الفيلا .

وضحكت وهى تمرِّر أصابعها فى شعرها ، مستطردة :

ـ أما الجزء الأصعب ، فكان عودتى إلى حيث تركتك ، عند فندق (البحيرة) .. الناس هنا ليسوا على نفس الدرجة من الشهامة ، التى عهدناها فى (مصر) .

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـ عجبًا !.. تجربتى تؤكِّد العكس تمامًا .

سألته فى فضول :

ـ كيف ؟

أشار بيده ، قائلًا :

ـ سأشرح لك فيما بعد .. المهم أننى أرسلت برقية عاجلة إلى (القاهرة) ، لأطمئنهم على أننا مازلنا نواصل المهمة .

أطلقت زفرة طويلة ، وتراجعت فى مقعدها ، قائلة :

ـ يدهشنى هذا ، فبعد ما حدث لى ، وما عرفته من الفندق ، عما حدث لك هناك ، تصوَّرت أن المهمة قد فشلت !

أجابها فى حزم :

ـ ليس بعد .

ثم استطرد ، وقد أطلَّت من عينيه صرامة الدنيا كلها :

ـ لقد تعرَّفنى (سيرجى كوربوف) ، على الرغم من تنكُّرى هذه المرة ، ولكنه سيبذل جهدًا أكبر فى المرات القادمة .. هذا لأننى قرَّرت تحويل مسار المهمة .

سألته فى قلق :

ـ وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

التقى حاجباه فى صرامة مخيفة ، وهو يجيب :

ـ يعنى أننا سنحدث انقلابًا هذه المرة يا زميلتى العزيزة .. سنقاتل بأسلوب جديد ، يقلب الأمور كلها رأسًا على عقب .

وكان قوله يعنى تحولًا جذريًا فى العملية كلها ..

تحوَّل حاد ..

ومخيف ..

★ ★ ★

ابتسم (كيلرمان) ، وهو يستقبل (جير) ، فى حجرته بالفندق فى (جنيف) ، وأشار إليه بالجلوس ، قائلًا :

ـ من المؤكَّد أن حضورك إلى هنا شخصيًا يعنى الكثير يا (جير) .

جلس (جير) ، وأشعل سيجارته ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .

ونفث دخان السيجارة فى عمق ، وهو يتطلَّع إلى البحيرة الكبيرة ، عبر نافذة الفندق ، قبل أن يستطرد :

ـ (واشنطن) وافقت على عمليتك الانتحارية .

برقت عينا (كيلرمان) فى جذل ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!

أومأ (جير) برأسه إيجابًا ، ونفث دخان سيجارته مرة أخرى ، قائلًا :

ـ الجنرال بنفسه منحنى الموافقة ، ولكن بشروط خاصة .

تسلَّل القلق إلى وجه (كيلرمان) وصوته ، وهو يسأل :

ـ أية شروط ؟

أشار (جير) بسبَّابته ، قائلًا :

ـ أوَّلًا : لابد أن تجرى محاولة أخيرة ؛ للحصول على تلك الأسطوانة المدمجة ، أو للتأكد من وجودها فى الفيلا على الأقل ، قبل أن تتم العملية .

سأله (كيلرمان) فى اهتمام :

ـ وثانيًا ؟!

أجاب (جير) :

ـ سيتم اختيار الفرقة الانتحارية من جنود ذوى أصول روسية أو سوفيتية ، وسيرتدون ويحملون ما يشير إلى أنهم روسيون .

رفع (كيلرمان) حاجبيه ، قبل أن يهتف :

ـ يا للعبقرية !.. لقد أثبت الجنرال براعته بحق هذه المرة ، فلو نجحت العملية ، سنفوز بالأسطوانة المدمجة ، بتكاليف تقل خمسمائة مرة عن المبلغ الذى يطالب به هؤلاء الأغبياء ، أما لو فشلت ، فسيلقون اللوم على الروس ، مما يضاعف من فرصتنا فى الفوز بالصفقة ، فى حالة استمرارنا فيها .. عبقرية فذة بالفعل .

وقهقه ضاحكًا ، ثم هزَّ رأسه ، وأضاف فى حزم :

ـ فليكن يا (جير) .. سأجرى المحاولة الأخيرة ، ثم نقوم بالعمل الحقيقى ..

وفرقع سبَّابته وإبهامه ، مستطردًا فى جذل :

ـ ونضرب ضربتنا .

قالها ، وعيناه تبرقان فى ظفر .. ظفر وحشى ..

★ ★ ★

ألقى (إيفان) نظرة على ساعة يده ، وهو يجلس داخل السيارة مع (كوربوف) ، وعاد يتطلّع إلى الفندق ، قائلًا :

ـ (جير) هناك منذ نصف الساعة .

أجابه (كوربوف) فى برود :

ـ دعه يأخذ وقته كله .

ثم نفث دخان سيجارته ، ذات الرائحة النفّاذة ، قبل أن يستطرد :

ـ ربما كان هذا آخر ما لديه .

ابتسم (إيفان) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ مادمت تقوله ، فليس لدى أدنى شك فيه .

وهزّ رأسه فى تعاطف ساخر ، مضيفًا :

ـ مسكين (جير) .

لم يكد ينطقها ، حتى اعتدل (كوربوف) ، وقال فى اهتمام واضح :

ـ ها هو ذا .

التقى حاجبا (إيفان) ، وهو يتطلّع إلى (جير) ، الذى غادر الفندق ، واتجه نحو سيارة أمريكية سوداء فاخرة ، تحمل على مقدمتها العلم الأمريكى ، فأسرع سائقها يفتح له الباب ، وغمغم (كوربوف) فى ازدراء :

ـ يا للمظاهر الرأسمالية العفنة !

ابتسم (إيفان) ، وهو يقول :

ـ حذار يا عزيزى (كوربوف) .. إنك تسرف فى انتقاد المظاهر الرأسمالية ، على الرغم من أن مجتمعنا يتجه إليها فى خطوات واسعة .

غمغم (كوربوف) :

ـ للأسف !

ارتفع حاجبا (إيفان) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هل تكره الرأسمالية إلى هذا الحد ؟!

زمجر (كوربوف) ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لسنا هنا بصدد الحديث عن النظم الاقتصادية .. هيّا .. اتبع هذه السيارة .

ابتسم (إيفان) فى شىء من السخرية ، وهو يقول :

ـ أمرك أيها الرئيس .

وانطلق فى هدوء خلف سيارة (جير) ، التى تحمل علامات دبلوماسية ، والتى قطعت طريقها بمحاذاة البحيرة ، ثم انفصلت عنها فى طريق آخر ، يقود إلى خارج المدينة ، وفى داخلها غمغم (جير) :

ـ يبدو أن هناك سيارة تتبعنا .

أجابه سائق السيارة :

ـ هذا صحيح يا سيّدى .. إنها تسير خلفنا ، منذ أن

غادرنا الفندق ، ولست أدرى ما إذا كانت تتعقبنا ، أم أنها فى طريقها إلى خارج المدينة مثلنا .

صمت (جير) لحظة ، ثم قال :

- هناك وسيلة بسيطة لاختبار هذا .. توقَّف إلى جانب الطريق .

أطاعه السائق ، وتوقَّف إلى جانب الطريق ، وتحفَّزت يده الممسكة بمسدسه المعلَّق بحزامه ، فى حين تأكَّد (جير) من إحكام إغلاق أبواب السيارة المصفَّحة ..

ولكن (كوربوف) قال فى حزم :

- واصل طريقك يا (إيفان) .. لا تتوقَّف .

أطاعه (إيفان) دون مناقشة ، وتجاوز السيارة الأمريكية فى سرعة ، ومضى فى طريقه ، فتنفَّس (جير) الصعداء ، وقال :

- إنها فى طريقها إلى خارج المدينة فحسب .

ثم أشار إلى السائق ، مستطردًا .

- هيا يا رجل .. انطلق بنا إلى (برن) .

قالها ، دون أن يدرى أن ابتعاد السيارة المطاردة لا يعنى أن الخطر قد زال ..

لا يعنى ذلك أبدًا ..

* * *

لم يكد (جير) ينصرف من حجرة (كيلرمان) ، حتى أطلق هذا الأخير ضحكة مجلجلة ، وهتف ملوِّحًا بقبضته فى الهواء :

- أخيرًا .

كان يشعر بسعادة جمة ، لأن القيادة فى (واشنطن) وافقت على قيامه بعملية محدودة ، مع تلك المنظمة الغامضة ..

هذا لأن طبيعته تتناسب كثيرًا مع اسمه(*) ..

إنه لا يؤمن أبدًا بالمفاوضات والطرق السلمية ..

لا يؤمن سوى بالقتل ..

وحده سفك الدماء يحقق - فى رأيه - كل الانتصارات ..

ثم إنه يكره أن يتعامل معه شخص ما بتعال ..

أى شخص ..

وعندما تعامل معه (ستيفان) بهذا الأسلوب ، اتخذ قرارًا حاسمًا بتأديبه ..

وكلمة التأديب لا تعنى عنده سوى إجراء واحد ..

أن يدمره تمامًا ..

وبلا رحمة ..

(*) (كيلرمان) بالإنجليزية تعنى (الرجل القاتل) .



كان يجلس آخر شخص يمكنه أن يتوقَّع رؤيته ، فى هذا الزمان وذلك المكان .. (أدهم) ! ..

كان يتفاعل مع ذاته ، عندما ارتفعت فجأة دقات على باب حجرته ، فتحرَّك فى انفعال عجيب ، وهو يقول فى حدة :

- من بالباب ؟

أتاه صوت أنثوى رقيق ، يقول :

- خدمة الحجرات .. هل طلبت قدحًا من الشاى ؟

انعقد حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

- الشاى ؟!.. أنا لا أشرب الشاى مطلقًا .

باغته صوت من خلفه ، يقول فى هدوء ، وبلغة أمريكية سليمة :

- أنا طلبته .

التفت (كيلرمان) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم ارتدّ فى عنف ، كمن أصابته صاعقة ، عندما وقع بصره على صاحبه ..

فأمامه ..

أمامه مباشرة ..

كان يجلس آخر شخص يمكنه أن يتوقَّع رؤيته ، فى هذا الزمان وذلك المكان ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

★ ★ ★

٨ - ضربة مزدوجة ..

التف ثلاثة رجال حول مائدة صغيرة، فى أحد أركان بهو فندق (البحيرة)، يراقبون مداخل المكان فى اهتمام، ثم لم يلبث أحدهم أن التقط جهازًا لاسلكيًا دقيقًا من جيبه، وقال عبره فى خفوت :

- كل شىء على ما يرام يا مستر (ستيفان) .. (كنوبى) لم يغادر حجرته حتى الآن، ولكن أمريكيًا آخر جاء لزيارته، وغادر المكان منذ قليل .

أتاه صوت (ستيفان)، وهو يقول فى صرامة :

- واصلوا المراقبة جيدًا .. أريد أن أعرف كل ما يفعله ذلك الرجل، قبل أن يعود لإتمام الصفقة .. هل تراقبون هاتف حجرته ؟

أجابه الرجل :

- بالتأكيد يا مستر (ستيفان)، ولكنه لا يستخدمه مطلقًا .. يبدو أن لديه وسيلة اتصال أخرى .

سأله (ستيفان) :

- وماذا عن تلك الشقراء، التى حاولت التسلل إلى الفيلا أمس ؟! .. إنهم لم يعثرو على جثتها فى السيارة المحترقة، وهذا يعنى أنها لم تلق مصرعها .. حاولوا البحث عن أية معلومات بشأنها .

أجابه الرجل بسرعة :

- سنبذل قصارى جهدنا يا سيدى .. لقد حصلنا على رقم شاسية السيارة المحترقة، وسنبحث عنه بالكمبيوتر، ونستخرج كل بياناته .

هتف (ستيفان) فى غضب :

- سيكون هذا أغبى إجراء عرفته، فى حياتى كلها .. من المؤكد أنها لن تستخدم بياناتها الحقيقية، مادامت محترفة كما نتوقع .

قال الرجل متوترًا :

- لقد وضعنا هذا فى اعتبارنا بالتأكيد يا مستر (ستيفان)، ولهذ أحضرنا معنا (مانى) الحارس .. إنه الشخص الوحيد الذى رآها، والذى يمكنه صنع صورة واضحة لها، بوساطة برنامج الكمبيوتر، الذى يستخدمه (روميرو) .

قال (ستيفان) فى حدة :

- فليكن .. المهم أن تجدوا معلومات عنها بأسرع ما يمكنكم .

غمغم الرجل :
- سنبذل قصارى جهدنا يا مستر (ستيفان) .. سنبذل قصارى جهدنا .
وانهى المحادثة ، وهو يتنفس الصعداء ، والتفت إلى رفيقيه ، قائلًا :
- هل سمعت يا (مانى) ؟.. مهمتك ليست يسيرة .
أجابه الحارس المفتول العضلات فى حزم :
- اطمئن يا رجل .. لقد رأيتها جيدًا ، وملامحها محفورة فى ذهنى ، ومنقوشة على تلافيف مخى .. أنت تعرف ذاكرتى الشهيرة .
قال الرجل فى عصبية :
- المهم أن تفلح هذه الذاكرة الأسطورية فى رسم صورة واضحة لها .
أشار (مانى) بسبابته ، وهو يقول :
- قلت لك : اطمئن يا رجل .. يمكننى تعرُّفها ، حتى ولو كانت وسط الـ...
بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهبَّ من مقعده ، وهو يحدِّق فى نقطة ما خارج الفندق ، فسأله زميله فى توتر :
- ماذا أصابك يا رجل ؟.. هل رأيت شبحًا ؟!

أشار (مانى) إلى موقف السيارات التابع للفندق ، وهو يجيب فى انفعال جارف :
- إنها هى .
هبَّ الأوَّل من مقعده ، هاتفًا :
- هى ؟!.. هل تقصد تلك الـ...
قاطعه زميله فى حزم :
- رويدك يا رجل .. إنك تجذب إلينا أنظار الجميع فى الفندق .. اهدأ واجلس .
ثم سأل (مانى) فى اهتمام :
- أين تلك الفتاة يا (مانى) ؟
أجابه (مانى) فى انفعال :
- ها هى ذى هناك .. فى السيارة الصفراء .. ثالث سيارة إلى اليسار .
تطلَّع الثلاثة عبر الزجاج إلى (جيهان) ، التى جلست خلف عجلة القيادة فى استرخاء ، تطالع واحدة من مجلات الأزياء الحديثة ، وقال الأوَّل :
- أأنت واثق يا (مانى) ؟
- أجابه (مانى) فى حزم :
- لا يمكننى أن أخطئ تعرّفها قط .
صمت ثلاثتهم بضع لحظات ، للسيطرة على أعصابهم ، ثم عاد الأوَّل يقول :

- حسنٌ .. سنغادر المكان فى هدوء ، حتى لا نلفت إلينا الانتباه ، ونذهب إليها ، ثم نجبرها على المضى معنا إلى الفيلا ، حتى يستجوبها مستر (ستيفان) بنفسه .

سأله (مانى) فى اهتمام :

- وماذا لو قاومت فى شراسة ، كما فعلت أمس ؟

ربَت الرجل على مسدسه تحت إبطه ، وقال :

- سيكون هذا من سوء حظها .

ونهض الثلاثة فى هدوء ، وغادروا الفندق ، ثم اتجهوا إلى موقف السيارات ، وكل منهم يقبض على مسدسه فى تحفُّز ، وما أن بلغوا السيارة ، التى تجلس فيها (جيهان) ، حتى دفع أحدهم مسدسه عبر النافذة المفتوحة ، وألصق فوهته الباردة بصدغها ، وهو يقول فى صرامة :

- وقعت أيتها المتسلِّلة .

ألقت (جيهان) مجلة الأزياء عن يدها ، وتحرَّكت فى عنف ..

وكان هذا - بالنسبة للرجل - أشبه بمحاولة للمقاومة ..

لذا فقد انتقل على الفور إلى الخطة البديلة ، و ... وضغط زناد مسدسه ..

★ ★ ★

لم يشعر (جير) بالارتياح ، إلا عندما تجاوزت سيارته حدود مدينة (جنيف) بالفعل ، وانطلقت فى الطريق إلى (برن) ، فاسترخى فى مقعده ، وراح يطالع مجلة أمريكية حديثة ، وعاونه السائق على الاسترخاء ، عندما بثَّ داخل السيارة بعض الموسيقى الكلاسيكية الهادئة ..

ولكن فجأة ، تدخَّلت نغمة عنيفة ..

بوق دراجة من دراجات الشرطة ، أفسد اللحن الجميل ، وجعل (جير) يعتدل فى حركة حادة ، ويستعيد أضعاف توتره ، وهو يقول :

- ما هذا بالضبط ؟

ألقى السائق نظرة على المرآة الجانبية للسيارة ، وهو يقول :

- يبدو أنه أحد شرطة الطرق السريعة .. إنه يشير إلينا بالتوقف .

أمسك (جير) مسدسه ، وهو يقول :

- حذار يا رجل .. ربما كانت خدعة .

أمعن السائق النظر فى المرآة ، وقال :

- السيارة مصفَّحة على أية حال ، ولن أفتح زجاجها ، إلا بعد الاطمئنان التام .

صمت (جير) لحظة ، ثم قال :

- فليكن .

تحسَّس السائق مسدسه فى تحفز ، وتوقف على جانب الطريق ، فاتجه الشرطى إلى يساره ، ووقف بدراجته البخارية ، ثم خلع خوذته ..

وارتفع حاجبا السائق فى انبهار ..

إنه لم يكن شرطيًا ، وإنما شرطية ..

شقراء فاتنة ، باهرة الحسن ، تطلّعت إليه بابتسامة ساحرة ، وهى تقول :

- أوراقك لو سمحت .

فتح السائق النافذة المجاورة له ، وهو يقول :

- ها هى ذى .. إنها أوراق دبلوماسية ، و ....

قاطعته فى هدوء :

- من يجلس بالخلف .

أجابها السائق فى سرعة :

- إنه مستر (واطسون) ، الملحق التجارى للسفارة ، و ....

قبل أن يتم عبارته ، انتزعت تلك الشقراء مسدسها من غمده بغتة ، وأطلقته نحوه ..

وشعر السائق بألم فى عنقه ، دون أن يسمع دوى رصاصته ، وقبل حتى أن تتسع عيناه فى دهشة ، كانت طلقة أخرى تصيب (جير) ، الذى هتف ، وهو يرفع مسدسه :

- اللعنة !.. إنها رصاصات مخدِّرة .

ولم تبال الشقراء الفاتنة بمسدسه ..

ربما لأنها كانت واثقة من المفعول السريع لرصاصاتها المخدِّرة ، التى أفقدته وعيه ، قبل حتى أن يصوِّب مسدسه نحوها ..

وفى اللحظة التالية ، برزت سيارة (كوريوف) و (إيفان) من بين الأشجار ، وخرج منها الأوّل ، قائلًا :

- أحسنت يا (أنستازيا) .. قمت بدورك خير قيام .

ثم أشعل سيجارته ، وهو يقول لـ (إيفان) :

- انقل (جير) إلى سيارتنا ، ثم تول أمر السائق والسيارة .

حمل (إيفان) (جير) الفاقد الوعى ، ونقله إلى سيارتهما ، ثم أشعل النار فى السيارة الأمريكية ، قائلًا فى سخرية :

- هذا أحد مضار عمل السائق .

وعندما ابتعد ثلاثتهم عن المكان ، لم تكن ضحكات (إيفان) قد انقطعت بعد ، فى حين كانت النيران تلتهم السيارة فى نهم ..

وبلا رحمة ..

★ ★ ★

انتفض جسد (كليرمان) فى عنف ، عندما وقع بصره على (أدهم) ، الذى يجلس فى هدوء ، على المقعد المنفرد ، فى نهاية الجناح ، تطلّ من عينيه نظرة صارمة ، تضفى عليه مهابة عجيبة ، جعلت (كليرمان) يتجمّد فى موضعه لحظة ، قبل أن يتحرّك فى عصبية ، محاولًا التقاط مسدسه ، ولكن (أدهم) أبرز مسدسه فى سرعة مدهشة ، وهو يقول :

- لو أننى فى موضعك لما حاولت .

أبعد (كليرمان) يده عن مسدسه فى توتر ، وهو يقول فى حدة :

- كيف دخلت إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء مستفز :

- من النافذة .

هتف (كليرمان) فى عصبية :

- كيف ؟!.. إننا فى وضح النهار ، والشارع مزدحم ، و ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- سيبرد الشاى يا رجل .

اتسعت عينا (كليرمان) فى دهشة ، وهو يقول :

- ماذا ؟!..

أجابه (أدهم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

- إننى أكره تناول الشاى باردًا .

احتقن وجه (كليرمان) فى حنق ، واستدار يفتح الباب ، وهو يقول لمضيفة الفندق فى عصبية :

- شكرًا يا جميلتى .. الشاى وصل فى موعده بالضبط .

تطلّعت إليه المضيفة فى دهشة ، ودفعت عربة الشاى إلى داخل الحجرة ، قائلة :

- نحن فى خدمتك يا سيِّدى .

وقّع (كليرمان) الفاتورة ، وهو يقول متوترًا :

- شكرًا لك .. سنصبّ الشاى بأنفسنا .. وداعًا .

قالها ، وهو يدفعها خارج الجناح فى خشونة أدهشتها ، ثم التفت إلى (أدهم) ، قائلًا فى عصبية :

- ماذا تريد منى بالضبط ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- لا شىء .. فقط أردت أن أتناول قدحًا من الشاى فى جناحك .. هل تمانع ؟

رمقه (كيلرمان) بنظرة عصبية ، قبل أن يقول :

- أمن المحتم أن نتناور بهذا الأسلوب السخيف ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- كلا بالتأكيد .

ثم نهض من المقعد بحركة مباغتة ، وهو يستطرد فى صرامة :

- إننى أفضل المواجهة المباشرة .

انعقد حاجبا (كيلرمان) فى دهشة ، وهو يقول متوترًا :

- أية مواجهة ؟

اتجه (أدهم) فى هدوء إلى عربة الشاى ، وصبّ لنفسه قدحًا ، راح يرتشفه فى هدوء ، و (كيلرمان) يتطلّع إليه فى توتر بالغ ، قبل أن يجيب :

- أنت تعلم أن كلينا يسعى خلف تلك الأسطوانة المدمجة يا (كيلرمان) .

سرى التوتر فى جسد (كيلرمان) ، وهو يقول :

- أية أسطوانة ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قائلًا :

- عجبًا !.. كنت منذ لحظات ترفض المناورات السخيفة .

بدا الغضب على وجه (كيلرمان) ، وهو يقول :

- فليكن أيها المصرى .. سنتعامل بأوراق مكشوفة ، ما دمت تحبذ هذا .. نعم .. نحن أيضًا نسعى خلف تلك الأسطوانة المدمجة ، ولكننا الأقوى .. العالم كله يعرف أن الـ(سى .. آى .. إيه) هى أقوى جهاز مخابرات فى العالم أجمع ، ولن يمكنكم الوقوف فى وجهنا أيها المصريون .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلًا :

- ولكننا فعلناها من قبل .

هتف (كيلرمان) :

- حظ .. مجرّد حظ .. أما فى هذه المرة .. فالهزيمة ستكون من نصيبكم حتمًا .

ارتشف (أدهم) آخر رشفة فى قدحه ، ثم أعاده إلى العربة فى بساطة ، وهو يقول :

- حقًا ؟!.. تبدو لى شديد الثقة هذه المرة .

أجابه (كيلرمان) فى حدة :

- وسترى أننى على حق فى ثقتى هذه .

هزّ (أدهم) كتفيه ، واستدار عائدًا إلى مقعده ، وهو يقول :

- سنرى .

وكان من المستحيل أن يضيع (كيلرمان) مثل هذه الفرصة النادرة ..

لقد أولاه (أدهم) ظهره ، دون أن يجرّده من سلاحه ..
وسيدفع ثمن هذا الخطأ غاليًا ..

وبسرعة ، استلّ (كيلرمان) مسدسه ، وصوّبه إلى (أدهم)، و ....

وأطلق النار ..

كان كرجل مخابرات محترف ، تلقى تدريبات لا حصر لها ، تؤهّله لمواجهة أصعب المواقف ، يدرك جيدًا أنه من المستحيل أن يخطئ إصابة هدفه ، من هذه المسافة القريبة ، التى لا تتجاوز الأمتار الثلاثة ..

ولكن الأمر لم يكن يتوقّف على مهاراته وخبراته وحدها ..

بل كان يتوقّف أيضًا على طبيعة الهدف ..

وقدراته ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (كيلرمان) زناد مسدسه تقريبًا ، وثب (أدهم) جانبًا ، ودار على عقبيه ، فتجاوزته الرصاصة ، واخترقت الجدار ، فهتف (كيلرمان) ، وهو يصوّب إليه مسدسه مرة أخرى :

- الثانية ستنسف مخك .

ولكن (أدهم) وثب عبر الأمتار الثلاثة ، التى تفصله عن (كيلرمان) ، على نحو بالغ المرونة ، وأمسك معصم هذا الأخير ، ليدفع فوهة مسدسه إلى أعلى ، قائلًا فى سخرية :

- هذا لو أطلقتها .

وقرن قوله بلكمة كالقنبلة ، أصاب بها فك (كيلرمان) ، الذى تراجع فى عنف ، وارتطم بعربة الشاى ، وسقط معها أرضًا ..

وعندما حاول النهوض ، استقبلته ركلة قوية من قدم (أدهم) فى أنفه ، وهذا الأخير يقول ساخرًا :

- إننى أفضلك راقدًا أيها الوغد .

ارتطم رأس (كيلرمان) بالأرض فى عنف ، وفقد وعيه على الفور ، فقال (أدهم) فى هدوء :

- هذا هو المطلوب منك بالضبط .

ثم اتجه نحو لوحة أنيقة تزيّن الجدار ، وأزاحها قليلًا ، ثم التقط من خلفها جهازًا صغيرًا ، وهو يستطرد :

- كل المطلوب .

ودسّ الجهاز فى جيبه ، ثم فتح باب الحجرة فى هدوء ، و ...

« إلى أين يا سيّد (أدهم) ؟.. » ..

اصطدمت به العبارة ، التى انطلقت من بين شفتى (شلينكو) ، الذى وقف يغلق الباب بجسده القوى ، و ...

وجاء رد فعل (أدهم) سريعًا كالمعتاد ..

لقد تحرّكت قبضته بسرعة البرق ، وهوت على أنف (شيلنكو) بلكمة كالقنبلة ..

وتراجع الروسى فى عنف ، مع اللكمة وعامل المفاجأة ، وارتطم بالجدار المقابل فى قوة ، ثم ارتدّ عنه ، لتستقبله لكمة أكثر قوة من (أدهم) ، فى فكه مباشرة ..

ولكن الروسى لم يسقط ..

فقط انطلقت من حنجرته حشرجة غاضبة ، ثم وثب إلى الخلف ، وانتزع من حزامه مسدسًا آليًا كبيرًا ، أشبه بمدفع رشّاش صغير ، وهو يهتف :

- فليكن .. أنت أردت هذا .

وانطلقت من المسدس الآلى ست رصاصات دفعة واحدة ..

وكلها تستهدف شخصًا بعينة ..

(أدهم صبرى) .





٩ - قتـــال ..

لم يكد (رونالد جير) يستعيد وعيه ، حتّى انتفض جسده فى عنف ، وخفق قلبه فى هلع ، وهو يحدّق فى وجه (سيرجى كوربوف) ، الذى قال فى برود :

- إذن فقد استعدت وعيك .

لم يستعد (جير) وعيه فحسب ، فى تلك اللحظة ، وإنما استعاد معه كل ما قرأة فى ملف (كوربوف) ، وكل ما عرفه عنه ، منذ التحق بخدمة المخابرات الأمريكية ..

كان يعلم أنه صارم ، قاس ، لا قلب له ، ويمكنه سحق رأس أمه نفسها بلا رحمة ، لو أمره رؤساؤه بهذا ..

وبكل توتره ، وما يعتمل فى نفسه ، وما يعرفه عن خصمه ، قال (جير) فى عصبية :

- لماذا فعلت هذا يا (كوربوف) ؟

هزّ (كوربوف) كتفيه فى برود ، مجيبًا :

- ضروريات العمل يا رجل .. أنت خير من يعلم هذا .

قال (جير) فى توتر :

- ضروريات العمل قد تدفعك لمطاردتى ، أو تعقبى ، أو تسجيل محادثاتى الهاتفية ، ولكنها لا تسمح لك باختطافى بهذا الأسلوب ، الذى يناسب المجرمين ، بأكثر مما يناسب رجال مخابرات مثلنا ، أو ....

قاطعه (سيرجى كوربوف) فى صرامة :

- قلت لك : إنها ضروريات العمل .

ابتلع (جير) باقى عبارته مع القليل من لعابه ، فى محاولة لترطيب حلقه الجاف من فرط الانفعال ، فى حين تابع (كوربوف) فى برود :

- أنتم أيها الرأسماليون ، تنفقون الكثير والكثير على أعمال التجسس ، حتى أنهم يؤكدون فى (موسكو) أن ميزانية جهازكم وحدها ، تكفى للإنفاق على (روسيا) كلها ، وانتشالها من أزمتها الاقتصادية الطاحنة .. هذا لأنكم تفرطون فى استخدام التكنولوجيا بالطبع ، وفى رشوة كل من لا يمكنكم توريطه للعمل معكم .. أما نحن ، فلا يمكننا مجاراتكم فى هذا ، وليس أمامنا سوى أن نعتمد على أنفسنا .

ولوَّح بيده ، مستطردًا :

- لهذا ، فلنا وسائلنا الخاصة للحصول على المعلومات المطلوبة ، وسترى بنفسك أنها أقل تكلفة بكثير .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (جير) ، وجفَّ حلقه ، حتى صار أشبه بصحراء جرداء ، وهو يقول بصوت متحشرج ، ومحاولاته للتخلص من قيوده لا تتوقَّف :

- ما الذى ترمى إليه بالضبط يا (كوربوف) ؟

التقط (كوربوف) مبردًا صغيرًا ، وراح يقلِّم أظفاره فى هدوء ، قبل أن يسأله ، دون أن يلتفت إليه :

- من يمتلك الأسطوانة ؟

ارتجف صوت (جير) مع جسده كله ، وهو يقول :

- أية أسطوانة ؟

انعقد حاجبا (كوربوف) فى غضب ، ثم أشار بسبَّابته ، فبرزت (أنستازيا) من ركن خفى ، وارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة ساحرة ، تطلَّع إليها (جير) فى توتر شديد ، فى حين قال (كوربوف) بنفس البرود :

- أنا واثق من أنك لم تلتق بزميلتنا (أنستازيا) من قبل ؛ فهى من الجيل الجديد ، الذى التحق بالعمل رسميًا فى العهد الجديد .. إنها فاتنة كما ترى ، ومن العسير أن يقاوم أحد سحرها .

ثم رفع أحد حاجبيه ، مستطردًا :

- ولكن هذه ليست موهبتها الوحيدة .

اتسعت ابتسامة (أنستازيا)، وحملت شيئًا من الزهو، و (كوربوف) يتابع :

- إنها تمتلك موهبة أخرى، تجعل الجميع يمنحونها كل ما لديهم بسرعة مدهشة .

وأشار إلى (أنستازيا)، فتقدَّمت مبتسمة نحو (جير)، ثم أخرجت من جيبها إبرة طويلة، والتقطت يده، ثم غرست إبرتها تحت إظفر سبابته اليسرى بحركة سريعة ..

وأطلق (جير) صرخة هائلة، مع تلك الآلام المبرِّحة، التى تصاعدت من يده إلى رأسه، وأدارت مخه داخل جمجمته فى عنف ..

وتألقت عينا (أنستازيا) فى جذل، وكأنها تستمتع بتلك الآلام، فى حين صب (كوربوف) لنفسه كأسًا من الفودكا، وهو يقول فى برود :

- أرجو أن يكون هذا قد أنعش ذاكرتك قليلًا .

هتف (جير) فى ألم :

- ما تفعله حقير يا (كوربوف) .. حقير للغاية .

أشار (كوربوف) بسبَّابته، قائلًا :

- لو أننا تبادلنا المواقع، لما ترددت لحظة فى أن تفعل بى ضعفه، لتحصل على معلومة بسيطة .

ثم لوَّح بسبَّابته مرة أخرى، فانتزعت (أنستازيا) إبرتها، وعادت تغرسها تحت إظفر الإبهام ..

ومرة أخرى، أطلق (جير) صرخة هائلة، وكاد يفقد وعيه من شدة الألم، فكررَّ (كوربوف) فى هدوء :

- أين الأسطوانة ؟

لهث (جير) فى ألم، وهو يجيب :

- إننا لم نحصل عليها بعد .

هزَّ (كوربوف) رأسه، قائلًا فى هدوء :

- أعلم هذا بالتأكيد، فمثل هذه الأمور لا تتم بسرعة كبيرة .. إنما أريد معرفة الشخص، الذى تتفاوضون معه بشأنها .

ثم مال نحوه، مسطردًا فى برود أكثر قساوة من الثلج نفسه :

- من هو يا مستر (جير) ؟

انفرجت شفتا (جير)، وبدا من الواضح أنه يهمَّ بقول شىء ما، إلا أنه لم يلبث أن تراجع، وقال فى توتر شديد :

- لا يمكننى أن أخبرك .. هذا يتعارض مع ..

قاطعته (أنستازيا)، وهى تنتزع الإبرة من إبهامه فى عنف، فصرخ مرة أخرى من الألم، وهتف :

- هذه الأساليب وحشية .. ستدفعون ثمنها غاليًا .

ابتسم (كوربوف) فى سخرية ، وأشار إلى (أنستازيا) ، قائلًا :

- دع هذا لوقته .

اتجهت (أنستازيا) نحو موقد صغير فى هدوء ، وأشعلته ، ثم وضعت إبرتها الطويلة فوق ألسنة اللهب ، وحدّق فيها (جير) فى ارتياع ، و (كوربوف) يرتشف كأسه ، ويقول فى برود :

- فى هذه المرة ستكون الآلام بشعة حقًّا ، فالإبرة ستكون ملتهبة ، وهى تنغرس تحت الأظفار .

صرخ (جير) :

- لا .. لن يمكنكما هذا .. لن يمكنكما فعله .

التقطت (أنستازيا) إبرتها التى التهبت إلى درجة الاحمرار ، ثم التقطت يده ، المقيدّة إلى المقعد فى إحكام ، وهى تقول :

- جربنى .

وكان الألم رهيبًا بحق ..

وانهار (جير) تمامًا ، وهو يصرخ :

- سأخبرك يا (كوربوف) .. سأخبرك كل ما لدى .

ارتشف (كوربوف) رشفة أخرى من كأسه ، قائلًا :

- افعل يا رجل ، فأنا منصت جيّد .

لهث (جير) فى مرارة ، وهو يقول :

- إنه رجل يُدعى (ستيفان) ، يقيم فى الفيلا رقم (١٠٣) ، عند أطراف المدينة .. إنها فيلا حصينة للغاية ، أشبه بالقلعة .

سأله (كوربوف) :

- أهو زعيم تلك المنظمة الخاصة ؟

أجابه (جير) :

- لست أدرى .. أقسم لك أن هذا كل ما لدينا .. لقد حاولنا البحث عن ملف للرجل ، إلا أننا لم نعثر على شىء .. بل لم نحدّد بعد جنسيته ، أو هويته الحقيقية .

صمت (كوربوف) قليلًا ، ثم سأله :

- وكم طلب ثمنًا لها ؟

حاول (جير) أن يزدرد شيئًا من لعابه ، إلا أنه لم يجد قطرة واحدة منه ، وهو يجيب فى صوت متحشرج مبحوح :

- مليار دولار .

شهقت (أنستازيا) فى قوة ، فى حين انعقد حاجبا (كوربوف) فى شدة ، وهو يقول :

- لقد أفسدتم العالم برأسماليتكم العفنة .

ثم أشار إلى (أنستازيا) ، فهتف (جير) :

- لا .. ليس ثانية .. لقد أخبرتك كل ما لدينا .. أقسم لك .

أجابه (كوربوف) فى برود :

- أعلم هذا .

تألقت عينا (أنستازيا) ، وأمسكت شعر (جير) فى قوة ، ودفعت رأسه إلي أسفل ، وهو يهتف :

- لا .. لا أريد أية آلام أخرى .

أجابته فى بطء :

- هذه هى الأخيرة .

ثم غرست إبرتها فى نقطة محددة من مؤخرة عنقه ، فأطلق شهقة مكتومة ، وجحظت عيناه لحظة ، ثم تراخى جسده كله دفعة واحدة ..

لقد كانت صادقة تمامًا فى عبارتها ..

إنها آخر آلامه ..

فى هذه الدنيا على الأقل ..

★ ★ ★

عندما تقدّم الرجال الثلاثة نحو (جيهان) ، التى تجلس هادئة فى سيارتها الجديدة ، منهمكة فى مطالعة واحدة من مجلات الأزياء الحديثة ، لم يكن يراودهم أدنى شك ، فى أن العملية ستتم فى سرعة ونجاح ، دون أدنى مشكلة ..

وحتى عندما ألقت (جيهان) المجلة ، وتحرّكت فى عنف ، لم يزايلهم ذلك الشعور بالثقة ؛ إذ بدا لهم أن

رصاصة واحدة ، تنطلق من المسدس الملتصق بصدغها ، ستكفى لإنهاء الموقف كله فى لحظة واحدة .

لذا فقد كان وقع المفاجأة عليهم عنيفًا للغاية ..

لقد اندفعت (جيهان) إلى الأمام فى سرعة ، وهى تدفع يد الرجل إلى الخلف ، فانطلقت الرصاصة خلف رأسها ، ودوت فى أذنها بقوة ، فهتفت :

- أيها الوغد .

ثم دفعت باب السيارة بكل قوتها ، فارتطم بالرجل ، ودفعه إلى الخلف فى عنف ، ليرتطم بزميليه ، ويسقط الثلاثة أرضًا ، و (مانى) يهتف :

- يا للعينة !

قفزت (جيهان) خارج السيارة ، وركلته فى أنفه ، هاتفة :

- من اللعينة أيها الحقير ؟

ثم تراجعت قدمها لتنقض مرة أخرى ، وتحطم اثنتين من أسنانه ، وهى تستطرد :

- أهكذا تخاطب آنسة محترمة ؟!

فقد (مانى) وعيه على الفور ، فى حين هبّ الرجلان الآخران واقفين ، ولوّح أحدهما بمسدسه فى وجهها ، هاتفًا :

- ستدفعين حياتك ثمنًا لهذا .

وثبت (جيهان) فى براعة ، وأطاحت بمسدسه بركلة قوية ، ثم دارت حول نفسها فى رشاقة ، وحطمَت فكه بركلة ثانية ، وقبل أن يسقط فاقد الوعى ، كانت تثب فوق مقدّمة سيارتها ، متفادية رصاصة الثالث ، ثم تعتمد عليها بكفيها ، وتدور حولها بحركة مدهشة ، لتركل مسدس الثالث ، قبل أن تقفز عاليًا ، وتضربه بقدميها فى وجهه ..

ومع سقوط الرجل الثالث ، هرع مسئول موقف السيارات إليها ، وهو يهتف :

- ماذا يحدث يا سيِّدتى ؟

نفضت كفيها فى هدوء ، وهى تهزُّ كتفيها ، قائلة :

- لقد غازلونى بوقاحة .

فغر الرجل فاه فى ذهول ، وهو يدير بصره فى الرجال الثلاثة الفاقدى الوعى ، فى حين قالت هى فى هدوء :

- أعتقد أنهم يحتاجون إلى إسعاف عاجل .

ثم عادت إلى السيارة ، وراحت تطالع مجلة الأزياء الحديثة فى هدوء ..

وكأن شيئًا لم يكن ..

★ ★ ★



وثبت (جيهان) فى براعة ، وأطاحت بمسدسه بركلة قوية ..

من يراجع ملف (أدهم صبرى) ، فى المخابرات العامة المصرية ، لابد وأن ينتبه إلى أن الفضل فى نجاتـه ، من معظم المخاطر التى يتعرَّض لها ، يعود إلى سمة خاصة به ، تميزه عن أقرانه ..

سرعة استجابته المدهشة ..

فـ (أدهم) يمتلك موهبة خاصة ، تتيح له تحديد موقفه ، ودراسته ، واتخاذ الإجراء اللازم للتعامل معه ، ووضعه موضع التنفيذ ، قبل أن يبدأ خصمه حتى فى إدراك ما حوله ..

وهذا ما حدث بالفعل ..

لقد شاهد (شلينكو) ينتزع مسدسه ، وتعرَّف نوع المسدس وقدراته من النظرة الأولى ، فوثب إلى الخلف ، وركل باب الجناح فى قوة ، وهو يلقى جسده أرضًا ..

وانطلقت رصاصات (شلينكو) فى اللحظة نفسها تقريبًا ..

وأصابت الباب المغلق ..

واخترقته ..

كان من الواضح أنها رصاصات قوية بالفعل ، فقد عبرت الباب السميك وتجاوزته إلى الداخل ، فوق رأس (أدهم) مباشرة ، و (شلينكو) يصرخ :

ـ لا .. لن تفلت .

انقضَّ على الباب ، وضربه بكتفه فى قوة ، فانفتح الباب فى عنف ، ووجد جسده يندفع إلى الأمام ، ليستقبله (أدهم) بلكمة كالصاعقة فى أنفه ، وهو يقول :

ـ ألا تسقط أبدًا يا رجل ؟

غامت الدنيا أمام عينى (شلينكو) ، وصرخ فى غضب ، وهو يدير فوهة مسدسه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير وثب يركله فى قوة ، مستطردًا :

ـ فليسقط مسدسك إذن .

ترك (شلينكو) مسدسه يسقط ، وانقضَّ على (أدهم) ، وأحاط وسطه بذراعيه القويتين ، ودفعه أمامه فى قوة ، وهو يطلق صرخات وحشية عجيبة ، حتى ارتطم ظهر (أدهم) بالجدار فى عنف ..

وعلى الرغم من الآلام الحادة ، التى انتشرت من ظهره إلى جسده كله ، لكم (أدهم) الروسى بين عينيه ، هاتفًا :

ـ اسقط أيها الوغد .. اسقط .

ولكن (شلينكو) أطلق صرخة وحشية أخرى ، وضرب ظهر (أدهم) بالجدار ثانية ..

وتضاعفت الآلام هذه المرة ..

وتضاعف معها غضب (أدهم) ..

لقد خيِّل إليه أنه يضرب جدارًا من الصخر الصلد ، لا يتأثر قليلًا أو كثيرًا بقبضته ، على الرغم من قوتها ..

جدارًا بشريًا ، لم يعهد مثله قط ، خلال حياته العملية الحافلة ..

إنه لا يدرى حتى كيف صنع الروس هذا ؟!..

كيف طوّروا قوة الاحتمال البشرية ، حتى بلغت هذا الحد ؟!..

ولكنه ، وعلى الرغم من دهشته ، اعتبر الأمر بمثابة تحد له ..

وبكل ما يمتلك من قوة ، ضمّ قبضتيه ، وهوى بهما على رأس الروسى ، الذى أطلق صوتًا أشبه بخوار ثور يحتضر ، قبل أن يصرخ فى غضب ، ويضرب ظهر (أدهم) للمرة الثالثة بالجدار ..

وفى هذه المرة ، دفع (أدهم) الجدار بكل قوته ، وصاح :

- حتى الثيران تنهار فى النهاية .

وألقى جسده أرضًا ، وهو يتشبّث بخصمه فى قوة ، ولم يكد ظهره يلمس الأرض ، حتى دفع ركبتيه فى معدة (شلينكو) ، وألقاه خلف ظهره فى قوة ، ليرتطم بالجدار فى عنف ..

وسقط (شلينكو) على رأسه فى قوة ، فى حين وثب (أدهم) واقفًا على قدميه ، فى مرونة مدهشة ، ودار على عقبيه ليركل غريمه فى أنفه بكل قوته ، ثم التقط مقعدًا ، وهوى به على مؤخرة عنقه ، بكل ما يملك من قوة ..

وارتطم وجه الروسى بالأرض ، وخار كالثور مرة أخرى ، ولكنه ظلّ راقدًا على وجهه هذه المرة ، وأنفاسه تتردّد فى صعوبة ..

ونهض (أدهم) يلهث فى شدة ..

لقد بذل جهدًا خرافيًا هذه المرة ، ليهزم خصمًا واحدًا ..

ولكنه انتصر ..

أخيرًا انتصر ..

وفى هدوء ، عدّل وضع رباط عنقه ومعطفه ، ثم غادر المكان فى بساطة ، واستقبله رجال الأمن ، وهم يهرعون إلى المكان ، هاتفين :

- ماذا حدث هنا ؟

أجابهم (أدهم) فى هدوء ، يوحى بأنه لا شأن له بالأمر :

- يبدو أنها عملية تصفيه حساب .. الاثنان تشاجرا فى الداخل ، ويبدو أن أيهما لم ينتصر هذه المرة .

اندفع رجال الأمن إلى الحجرة ، ولأنه لم يكن بينهم أحد رجال أمن الدورية الليلية ، فلم يعترض أيهم طريقه ، وهو يستقل المصعد ، ويغادر المكان كله فى هدوء وبساطة ..

ومن حسن حظ (أدهم) أنهم مجرّد رجال أمن فندق ، وليسوا أفراد شرطة نظامية ، يدركون قواعد وأساليب التعامل مع مثل هذه الأمور ..

وعلى الرغم من الاضطراب الذى ساد الفندق ، غادر (أدهم) المكان فى هدوء ، واتجه إلى موقف السيارات ، حيث تنتظر (جيهان) ، ولكنه لم يكد يقترب منه ، حتى لمح سيارة الإسعاف التى تغادره ، وسيارة الشرطة التى تقف داخله ، فأسرع الخطا إلى المكان ، والقلق يتسلل إلى نفسه ، إلا أن هذا القلق لم يلبث أن تلاشى ، عندما وقع بصره على (جيهان) ، التى تقف هادئة ، تتحدث مع أحد رجال الشرطة ، فاتجه نحوها ، وسمعها تقول :

- بالطبع أتهمهم بالتهجُّم علىّ .. إنهم وحوش أيها الضابط .

رفع الضابط حاجبيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يبتسم فى ارتباك ، مغمغمًا :

- وحوش ؟!.. يدهشنى هذا القول يا سيِّدتى ، بعدما رأيت هؤلاء المساكين .. أقصد المجرمين .

أشارت (جيهان) بسبّابتها ، قائلة فى صرامة :

- المهم أن تتخذ الإجراءات القانونية ضدهم .

تنهَّد الضابط ، قائلًا :

- بالطبع يا سيِّدتى .. بالطبع .. لقد أيَّد الشهود أقوالك ، وأكدوا أن الثلاثة هاجموك أوَّلًا ، وأن كل ما فعلته كان نوعًا من الدفاع عن النفس .

وابتسم مستطردًا :

- لسوء حظهم .

انتظر (أدهم) ، حتى انصرف رجال الشرطة ، ثم اتجه إلى السيارة ، واحتلّ مقعد القيادة ، وهو يسأل :

- ماذا حدث بالضبط ؟

هزّت (جيهان) كتفيها بلا مبالاة ، وهى تجلس إلى جواره ، مجيبة :

- بعض الأغبياء حاولوا مهاجمتى ، فلقنتهم درسًا يستحقونه .

رمقها بنظرة جانبية ، قبل أن ينطلق بالسيارة ، قائلًا :

- إلى أى معسكر ينتمون ؟

أجابته فى هدوء :

- إلى تلك المنظمة الخاصة على الأرجح ، فقد كان بينهم ذلك الحارس ، الذى واجهته عند الفيلا أمس .

ثم التفتت إليه ، مستطردة فى حماس :

- ولهذا قاتلتهم فى عنف ، فقد أردت أن أضمن وجود أحدهم على الأقل فى المستشفى ، حتى يمكننا استجوابه ، واستخلاص ما لديه من معلومات .

كانت براعتها تدهشه إلى حد ما ، إلا أنه لم يعلّق على الموقف سوى بعبارة واحدة :

- من الواضح أنك تختلفين تمامًا عن (منى) .

لم يدر لماذا اختار هذه العبارة بالتحديد، ولكن جسدها كله ارتجف لسماعها، وانكمشت فى مقعدها، وهى تقول فى خفوت :

- فى أى اتجاه ؟.. الأفضل أم الأسوأ ؟

كاد يصرخ فى وجهها :

- لا توجد من هى أفضل من (منى) .

ولكنه آثر الصمت ..

لن يجيب تساؤلها ..

لن يناقش معها هذا الأمر قط ..

ليس من حق مخلوق واحد أن يناقش مشاعره وعواطفه ..

وخاصة تلك التى تمسّ (منى) ..

تنهّد فى عمق، دون أن يلتفت إليها، وسبح عقله فى لجة من الأفكار والمشاعر ..

ومن بعيد، لمحه رجل حاد القسمات، يجلس داخل سيارة كبيرة، فانعقد حاجباه فى شدة، وهتف :

- إنه هو .

سأله جاره فى السيارة فى قلق :

- من هذا يا جنرال ؟

أجابه الجنرال (تورنسول)، قائد قطاع العمليات الخاصة، فى المخابرات الأمريكية :

- ذلك المصرى، الذى كثيرًا ما أفسد عملياتنا .. (أدهم صبرى) .

انتفض جسد جاره فى عنف، وهو يهتف :

- (أدهم صبرى) .

هتف الجنرال (تورنسول) :

- أسرع يا رجل .. انطلق خلفه .. لا تدعه يغيب عن نظرك، وحذار أن يشعر بك .

قال جاره متوترًا :

- سيّدى الجنرال .. سنضيّع وقتًا ثمينًا .. لقد أتينا من (أمريكا) خصيصًا لنعد لـ ....

قاطعه الجنرال فى صرامة :

- صه يا رجل .. من الواضح أنك مستجد فى عملنا هذا .. أى وقت ثمين هذا الذى نضيعه ؟!.. إن ظهور هذا الرجل فى الساحة، يعنى أن فرصة نجاح أى عمل لنا قد انخفضت بنسبة سبعين فى المائة على الأقل .

وعاد يلقى نظرة شديدة التوتر على سيارة (أدهم)، قبل أن يضيف :

ـ صدقنى يا رجل .. هذا الوقت الذى ننفقه ، هو أكثر الأوقات أهمية ، فى العملية كلها ، فما دمت تنوى القيام بعملية كبرى هنا ، فابدأ بأهم خطوة .

وأشار إلى سيارة (أدهم) ، مستطردًا فى صرامة :

ـ اقتل هذا الرجل .

وكان يعنى ما يقول ..

بكل حرف فيه .

★ ★ ★



١٠ ـ الجنرال إبليس ..

عدّلت ممرضة قسم الطوارئ منظارها الطبى فوق عينيها ، وهى تتطلّع إلى (أدهم) مليًا ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ آسفه يا سيّدى .. النظم هنا تمنع زيارة المصابين فى قسم الطوارئ ، إلا بعد اتمام إسعافهم ، ونقلهم إلى حجراتهم .

رمقها (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ هذا ينطبق على الزيارات العادية .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ وما الذى يجعل زيارتك غير عادية ؟

أجابها (أدهم) فى صرامة :

ـ لأنها ليست زيارة على الإطلاق .. إننى أرغب فى مقابلة موكلى .

قالت فى دهشة قلقة :

ـ موكلك ؟!

رفع حقيبته الصغيرة ، وهو يقول :

- نعم .. نسيت أن أقدم لك نفسى .. (ألبيرت صموائيل) المحامى .. لقد اتصل بى أحد رجالنا من هنا، وأخبرنى أنكم تعاملون المصابين الثلاثة بشىء من الإهمال، وطالبنى رؤسائى بمقاضاتكم من أجل هذا .

ثم مال نحوها، مستطردًا فى صرامة :

- وأنت تعلمين أن التعويض فى هذه الحالة، يحمل حتمًا ستة أصفار إلى يمينه .

ازدردت لعابها فى صعوبة، وهى تقول :

- ولكننا لا نعامل أى مصاب بإهمال !

لوَّح بسبَّابته، قائلًا :

- آه .. هذا قولك، ولكننا لم نشاهد هذا على الطبيعة، كما يقتضى القانون، ومنعك لى من رؤية الموكلين يوحى بـ ...

قاطعته مرتبكة :

- فليكن .. لا داعى لكل هذه المحاضرة .

وزفرت متوترة، قبل أن تضيف :

- سأسمح لك بمقابلتهم لخمس دقائق فحسب .. أيكفيك هذا ؟

ابتسم مجيبًا :

- بالتأكيد .

قادته متوترة إلى حجرة الطوارئ، وقالت فى عصبية، وهى تفتح له الباب :

- خمس دقائق وليس أكثر .

أومأ برأسه، قائلًا :

- إنها كل ما أحتاج إليه .

دلف إلى الحجرة، وأغلق بابها خلفه، ثم أدار عينيه فى الرجال الثلاثة، الذين تم تضميد جراحهم، واستلقوا متهالكين فوق أسرَّتهم، ثم انتقى أحدهم، واتجه نحوه، وهو يقول فى هدوء :

- كيف حالك يا رجل ؟

أجابه الرجل فى تهالك :

- أفضل من ذى قبل، ولكننا سنقاضى هذه المتوحشة حتمًا .. إنها ..

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه فى ارتياع، عندما وقع بصره على فوهة مسدس (أدهم)، المصوَّبة إلى رأسه مباشرة، وهتف :

- يا للشيطان !.. من ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة مخيفة، وبصوت خافت لا يسمعه سواهما :

- إياك أن تنبس ببنت شفة .. أعتقد أنك محترف بما يكفى لتعلم أن هذا المسدس مزوَّد بكاتم للصوت ، وأن كل ما أحتاجه هو ضغطة بسيطة على الزناد ؛ لأنسف مخك ، دون أن يشعر بنا أحد .

تمتم الرجل فى رعب :

- نعم أعلم هذا .

سأله (أدهم) :

- ما إجراءات الأمن المتبعة فى الفيلا .

ارتجف الرجل ، وهو يهمس مذعورًا :

- لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى لو فعلت .

أجابه (أدهم) فى حزم :

- ومن سيدرى أنك فعلت ؟.. هذا الحديث يدور بيننا وحدنا يا رجل .. هيا .. أسرع بإجابة أسئلتى ، قبل أن يثير حديثنا الاهتمام .

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

- الفيلا أشبه بالقلعة ، ونظام الأمن بها موضوع بدقة ، تعجز معها ذبابة عن اختراقه ، فآلات التصوير منتشرة فى كل مكان ، والأسوار مكهربة ، والحراس يجوبون الحديقة طوال الوقت ، دون لحظة واحدة من التوقف ، فى ثلاث دوريات متصلة ، وهناك طاقم إضافى من الحراس ، ينتشر

حول المكان ، بالإضافة إلى رادار حديث على سطح الفيلا ، يكشف أية محاولة للتسلّل جوًا ، وتبلغ دقته حد كشف مظلى واحد ، يهبط منفردًا على المكان .

صمت (أدهم) لحظة مفكرًا ، قبل أن يسأله :

- هل يوجد مولّد كهربى إضافى فى الفيلا ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يتلفّت حوله متوترًا ، وهمس :

- نعم .. إنه مولّد قوى ومتطوّر ، ويبدأ عمله بعد ثلاث ثوان فحسب من انقطاع التيار ، وهذا بخلاف جهاز الوصل الكهربى ، المتصل بأجهزة الكمبيوتر ، والذى يعمل فور انقطاع التيار ، حتى تستمر الأجهزة فى عملها .

صمت (أدهم) لحظات أخرى ، ثم سأل فى صرامة :

- وماذا عن (ستيفان) ؟.. أهو زعيم المنظمة ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- هذا ما يبدو ، ولكننى سمعتهم يردِّدون أنه ليس الزعيم الحقيقى ، فقد سمعه بعضهم يتلقَّى الأوامر عبر الهاتف .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ومن أين تأتيه هذه الأوامر ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لا أحد يدرى .. لقد أخبرتك كل ما أعرفه ، وكل ...

كان الرجل يتحدّث ، وعقل (أدهم) يعمل فى سرعة ..
فما حصل عليه من معلومات ، كان يشير إلى أن المهمة أكثر صعوبة مما كان يتوقّع ..
أكثر بكثير ..

★ ★ ★

« بل أعتقد أنها مستحيلة .. »
نطقت (جيهان) هذه العبارة فى توتر ، وهى تختبر مسدسها ، فى المنزل الآمن ، فى قلب (جنيف) ، بعد أن استمعت إلى ما حصل عليه (أدهم) ، الذى هزّ رأسه ، وعقد حاجبيه مفكرًا فى عمق ، وهو يقول :
ـ لا يوجد مستحيل فى عالمنا هذا .. ربما كان نظام الأمن فى الفيلا شديد التعقيد ، ولكن القاعدة التى نؤمن بها دائمًا ، أنه لا يوجد جهاز أمنى خال من الثغرات ، مهما بلغت دقته .
أعادت مسدسها الصغير إلى حزامها ، وهى تقول :
ـ وما الثغرة التى تجدها هنا ؟
صمت لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :
ـ ربما كانت الثغرة أكبر مما يمكنك رؤيته يا زميلتى العزيزة .

خفق قلبها هذه المرة أيضًا ، كما يفعل كلما خاطبها (أدهم) بهذا اللقب ، وجفّ حلقها ، وهى تتطلّع إليه فى صمت ، ثم لم تلبث أن تنحنحت ، وقالت محاولة نفض تلك المشاعر عن قلبها :
ـ إنك لم تشرح لى بعد ، لماذا تعمّدت استفزاز (كيلرمان) على هذا النحو الفج ؟
ابتسم (أدهم) ، وهو يجيب :
ـ سببان هامان دفعانى إلى هذا ، أوّلهما أن أثير غضبه وسخطه ، وقلقه على نجاح العملية ، مما يجعله يتحرّك فى سرعة وتوتر ، ومع السرعة والتوتر ، تتزايد الأخطاء حتمًا ، وتتضاعف فرصتنا فى الفوز ، مع كثرة أخطاء الخصم .
اعتدلت ، تسأله فى اهتمام :
ـ والسبب الثانى ؟
التقط نفسًا عميقًا ، وهو يخرج جهازًا صغيرًا من جيبه ، مجيبًا :
ـ أن أستعيد هذا .
حدّقت فى الجهاز ، قائلة :
ـ ما هذا بالضبط ؟
أجابها بسرعة :

- أحدث جهاز تصنت مباشر .. آلى التسجيل، يعمل فور وجود أصوات بشرية، ويتوقف مع توقفها، كما أن له حساسية التقاط كبيرة، تتيح له تسجيل أضعف الأصوات .

هتفت فى سعادة طفولية :

- هل وضعته فى حجرة (كيلرمان) ؟

أومأ برأسه إيجابًا، وضغط زر الاستعادة فى الجهاز، وهو يقول :

- لقد وضعنا هاتفه بالفعل تحت المراقبة، ولكننا كنا نعلم أنه لن يستخدم الهاتف فى الاتصالات الهامة، لذا فقد وضعت جهاز التصنت هذا فى حجرته، لتنقل كل اتصالاته السرية .

بدأ الجهاز عمله، وراح يبث حديثى (جير) مع (كيلرمان)، اللذين تمّا عبر جهاز الاتصال الخاص، وأثناء زيارة الأوّل للأخير ..

واستمع (أدهم) و (جيهان) إلى الحديثين فى اهتمام بالغ، قبل أن تهتف (جيهان) :

- مليار دولار ؟!.. من الواضح أن منظمة (ستيفان) هذه لاتتميز أبدًا بالقناعة .

أشار (أدهم) بيده، قائلًا :

- ليس هذا أخطر ما فى الأمر يا زميلتى العزيزة، ففى رأيى أن فكرة ذلك الهجوم الانتحارى على الفيلا هى الأكثر خطورة .

وافقته بإيماءة من رأسها، قائلة :

- بالتأكيد، فهى أعنف خطوة اتخذتها المخابرات الأمريكية هذه المرة .

ثم سألته فى اهتمام :

- ولكن هل تعتقد أنها خطوة ناجحة ؟

التقط نفسًا عميقًا، قبل أن يجيب :

- ستكون خطوة مباغتة بالتأكيد، ومع عامل المفاجأة، أعتقد أنه من الممكن أن ينجح الأمريكيون فى اقتحام الفيلا، ولو فعلوا، فربما حصلوا على تلك الأسطوانة المدمجة بالفعل، أو دفعوا (ستيفان) لتدميرها، خشية وقوعها فى أيديهم، وفى الحالتين سيعنى هذا أن عمليتنا قد فشلت .

هزّت كتفيها، قائلة :

- ربما فشل الاقتحام .

أجاب فى حسم :

- فى هذه الحالة سيُنسب الهجوم للروس؛ لأن الأمريكيين سيحرصون على أن يبدو كذلك، وسيدفع هذا

(ستيفان) ومَن خلفه إلى الإسراع بإتمام الصفقة ، وهذا أيضًا فى صالح الأمريكيين .

انعقد حاجباها فى توتر ، وهى تقول :

- رباه !.. ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

- أن نفسد العملية كلها ..

قالها ، وابتسامته تحمل الكثير من الجذل .. ومن الغموض ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الجنرال (تورنسول) فى غضب ، وهو يدير عينيه فى جناح (كيلرمان) ، الذى انقلب رأسًا على عقب ، إثر قتال (أدهم) معه ، ومع الروسى (شلينكو) ، فى حين قال (كيلرمان) فى حنق ، وهو يضع كمادات باردة على موضع إصابته :

- هذا المصرى أشعل الغضب فى أعماقى بالفعل .. أقسم أن أمزقه إربا ، عندما ننتهى من هذه العملية .

رمقه الجنرال (تورنسول) بنظرة صارمة ، قبل أن يسأله :

- وأين ذهب الروسى ؟!

زفر (كيلرمان) فى توتر ، وهو يجيب :

- لقد نقلوه فاقد الوعى إلى المستشفى ، والشرطة مازالت تحقّق فى الأمر ، ولكن من المؤكّد أن سفارته ستتدخّل فى الأمر كالمعتاد ، مستغلة جواز السفر الدبلوماسى الذى يحمله .

قال (تورنسول) فى غضب :

- هذا يعنى إذن أنك تلقيت دستة من اللكمات والركلات مجانًا ، دون أن تظفر بـ (أدهم صبرى) ، أو حتى بذلك الروسى ، الذى اقتحم جناحك أيضًا ، وكأنه طريق عمومى ، من حق كل رجل مخابرات المرور به .

انعقد حاجبا (كيلرمان) فى غضب ، وهو يقول :

- جنرال (تورنسول) .. إنك تتحدّث كما لو كنت رئيسى فى العمل .. المفروض أنك هنا فقط لتقود الفرقة الانتحارية ، التى ستقتحم الفيلا ، وليس لانتقاد أعمالى وأساليبى .

أجابه (تورنسول) فى صرامة :

- بل أنا هنا لتنفيذ عملية ناجحة يا (كيلرمان) ، وبصحبتى عشرة من أقوى وأبرع رجال القوات الخاصة لتنفيذ العملية ، وأوّل واجباتى هو أن أفعل كل ما من شأنه تأمينهم ، والعمل على نجاح مهمتهم .

لوَّح (كيلرمان) بكفه فى غضب ، هاتفًا :

- لا شأن لهذا بى .

أشار (تورنسول) إلى الفوضى الشديدة فى المكان ، قائلًا فى حدة :

- ما أراه أمامى يؤكِّد العكس تمامًا .

صاح (كيلرمان) :

- قلت لك : إننى سأقضى على (أدهم صبرى) هذا تمامًا ، بعد أن ننتهى من مهمتنا .

قال (تورنسول) فى صرامة :

- هذا هو الخطأ بعينه .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وباعد ما بين قدميه ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يكمل :

- العملية لابد من أن تبدأ بسحق (أدهم صبرى) هذا .

قال (كيلرمان) فى عصبية :

- فليكن .. دعنا نترك مهمتنا الأساسية ، ونضيع الوقت فى البحث عن رجل المخابرات المصرى ، و ....

قاطعه (تورنسول) فى صرامة :

- أنا أعرف أين هو .

حدَّق (كيلرمان) فى وجهه بدهشة ، هاتفًا :

- تعرف ؟!

أومأ (تورنسول) برأسه إيجابًا فى صرامة ، قبل أن يقول :

- نعم .. أعرف أين المنزل الآمن ، الذى يقيم فيه ، ولقد تركت هناك اثنين من رجالى العشرة لمراقبته ، تمهيدًا لشن هجوم شامل عليه ، وسحقه سحقًا مع زميلته الحسناء .

بدا التوتر الشديد على وجه (كيلرمان) ، وأشعل سيجارته فى عصبية ، وهو يقول :

- هل تعتقد أن شن هجوم شامل فى منطقة سكنية ، يعدّ إجراءً حكيمًا ؟

ابتسم (تورنسول) فى سخرية ، وهو يقول :

- ومن ذكر المناطق السكنية ؟!

سأله (كيلرمان) ، وهو ينفث دخان سيجارته فى عصبية :

- أين ستشن هجومك الشامل إذن ؟

اتسعت ابتسامة (تورنسول) ، وهو يجيب :

- هنا تكمن خبرتى الحقيقية يا رجل .. نحن سنختار ساحة المعركة بأنفسنا ، وسنحرص على أن تناسبنا تمامًا ، وعلى ألا تناسب خصمنا قط .. فقط اترك لى الأمر كله ، وابدأ فى حفر قبر رجل المخابرات المصرى .

قالها ، وابتسامته تحمل الكثير من الثقة .. ومن الحزم ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (ستيفان) فى قوة ، وهو يطالع ذلك الوجه ، الذى نقلته إليه شاشات الرصد ، التى تنقل كل ما يدور ، فى كل شبر من الفيلا وحديقتها ، ثم سأل مساعده فى حذر :

- ما الاسم الذى قلت أنه ذكره ؟

أجابه مساعده فى حسم :

- (كوربوف) يا مستر (ستيفان) .. (سيرجى كوربوف) ، من جهاز الأمن القومى الروسى .

التقط (ستيفان) نفسًا عميقًا ، وهو يتطلع إلى صورة (كوربوف) على الشاشة ، مغمغمًا :

- من جهاز الأمن القومى الروسى !!.. يعلنها هكذا بكل وضوح .. عجبًا !!.. كيف يمكن هذا ؟!

صمت لحظات طويلة ، وهو يقلب الأمر فى رأسه على كل الوجوه ، ثم رفع عينيه إلى مساعده ، قائلًا :

- فليكن .. اسمحوا له بالدخول ، بعد تفتيشه جيدًا ، وبعد مروره عبر بوابة كشف الأسلحة ، وأمام شاشة الأشعة السينية .. أريده نظيفًا تمامًا .. هل تفهم ؟

أجابه المساعد فى حسم :

- كما تأمر يا مستر (ستيفان) .

طالع (ستيفان) وجه (كوربوف) مرة أخرى ، ثم التفت إلى جهاز الكمبيوتر ، وضغط أزراره بسرعة ، ليضع فيه كل المعلومات ، فظهرت على شاشاته صورة مزدوجة لـ (سيرجى كوربوف) ، من وجهه وجانبه ، مع معلومات تقول :

- (سيرجى كوربوف) ، الشهير بالكوبرا ، من الفرقة الخاصة بجهاز (كى. جى. بى) السوفيتى سابقًا ، والمخابرات الروسية حاليًا .. فى الخامسة والأربعين من عمره ، بالغ الخطورة ، تلقى تدريبات خاصة للغاية .. لا يعرف الرحمة .. مصرَّح له بالقتل .

انعقد حاجبا (ستيفان) مرة أخرى ، وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

- إذن فهذا صحيح !. المخابرات الروسية قرَّرت اقتحام الموقف صراحة .. عجبًا !.. ليس هذا أسلوبهم فى المعتاد .

راح يدير الأمر فى رأسه على كل الوجوه ، حتى وصل (كوربوف) إلى مكتبه ، فنهض يستقبله فى هدوء ، وهو يقول :

- مرحبًا بك يا مستر (كوربوف) .. كم يدهشنى أن تشرفنى بزيارتك فى مقرى المتواضع ، و ....

قاطعه (كوربوف) فى برود :

- أتيت أحمل إليك عرضًا محدودًا يا مستر (ستيفان) .

رفع (ستيفان) حاجبيه ، وهو يقول :

- رائع .. لو أنه بشأن السلعة التى أتوقعها ، فآخر ثمن معروف لها هو مليار دولار .

ابتسم (كوربوف) فى سخرية ، وقال :

- لست أعتقد أننا نستطيع دفع نصف هذا المبلغ .

هزَّ (ستيفان) كتفيه ، قائلًا :

- فى هذه الحالة يؤسفنى أن ..

قاطعه (كوربوف) مرة أخرى فى صرامة :

- ولكننى مازالت أحمل لك عرضًا محدودًا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- ولست أظنك تستطيع رفضه .

انعقد حاجبا (ستيفان) فى توتر ، وهو يقول :

- لا أستطيع رفضه ؟! .. أى نوع من العروض هذا ؟

أجابه (كوربوف) :

- النوع البسيط المباشر يا رجل .. نحن لا نستطيع منافسة الأمريكيين اقتصاديًا ، ولكن لدينا أساليبًا أخرى ، أكثر فاعلية وبساطة .. إننا نريد الأسطوانة مقابل ..

وبتر عبارته ، ليميل نحوه كثيرًا ، ويضيف :

- حياتك .

حدَّق (ستيفان) فى وجهه لحظة فى توتر بالغ ، ثم انفجر فجأة ضاحكًا ، وهو يقول :

- وكيف يمكنكم تهديد حياتى يا مستر (كوربوف) ؟

أجابه (كوربوف) فى برود :

- إنه ليس بالأمر العسير .. قنبلة واحدة ، من قنابلنا الخاصة ، تكفى لتحويل الفيلا كلها إلى كومة من الرماد ، فى ثوان معدودة .

قال (ستيفان) متوترًا :

- ولكن هذا سيؤدى إلى نسف الأسطوانة أيضًا .

ابتسم (كوربوف) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- هل تعتقد أن هذا سيحزننا ؟

هبَّ (ستيفان) من مقعده فى حدة ، قائلًا :

- كلَّا .. لست أعتقد هذا ، ولكن فى نفس اللحظة ، التى سيتم فيها نسف الأسطوانة ، سيرسل الكمبيوتر الأم نسخًا منها ، إلى كل نظم المخابرات فى العالم .. هذا جزء من البرنامج .

انعقد حاجبا (كوربوف) فى شدة ، وهو يقول صارمًا :

- إنك تجعل الأمر أكثر صعوبة يا مستر (ستيفان) .

قال (ستيفان) فى حزم :

- هذه مهمتى يا مستر (كوربوف) .

ثم لوَّح بكفه ، ولانت ملامحه بغتة ، مستطردًا :

- ولكن ..

اكتفى بقول الكلمة ، وهو يعود للجلوس خلف مكتبه فى هدوء ، وعيناه تبحثان عن الانفعال ، الذى ستتركه على وجه (كوربوف) ، إلا أن هذا الأخير بدا له أشبه بتمثال من الصخر ، بلا أدنى انفعالات ، مما جعله يتابع بسرعة :

- ولكن هناك وسيلة حتمًا لإتمام الصفقة معكم .

لوَّح (كوربوف) بيده ، قائلًا :

- لا يمكننا ، بأى حال من الأحوال ، دفع مبلغ كهذا .

قلب (ستيفان) كفيه ، وهو يقول فى خبث :

- ليس من الضرورى أن نتقاضى المبلغ أموالًا سائلة .

قال (كوربوف) ساخرًا :

- كيف تتقاضونه إذن ؟.. على هيئة بضائع ؟!

أشار (ستيفان) بسبَّابته ، قائلًا :

- بالضبط .. ولكنها بضائع من نوع خاص .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

- سنعيد لكم الأسطوانة ، مقابل عدد من الصواريخ .

وضاقت عيناه مع إضافته :

- ذات الرءوس النووية .

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (سيرجى كوربوف) .. مفاجأة ساحقة .

★ ★ ★



١١ ـ الفـــخ ..

فتحت (جيهان) باب المنزل الآمن فى هدوء، وتسللت إليه فى خفة، ووقفت بضع لحظات صامتة، تتطلّع إلى (أدهم)، الذى جلس إلى جوار النافذة مغلق العينين، وقد شبك أصابع كفيه أمام وجهه، واستغرق فى تفكير عميق، وخيّل إليها لحظة أنه لم ينتبه إلى وصولها، حتى سمعته يقول فى هدوء :

ـ لماذا لا تغلقين الباب ؟

هتفت، وهى تغلق الباب خلفها :

ـ تصوّرت أنك لم تنتبه لوصولى !

ابتسم ابتسامة باهتة، وهو يقول :

ـ لو أنك أحد الأعداء، لكنت إذن جثة هامدة، لو لم أشعر بوصولك .

اتجهت نحوه، وسألته فى شغف :

ـ وكيف عرفت أنه أنا ؟

فتح عينيه، وهو يجيب فى بساطة :

ـ خطواتك واضحة، ولقد توقّفت أمام الباب، وأخرجت سلسلة مفاتيحك، وفتحت الباب فى هدوء، ولكن مفصلاته تصدر صريرًا خافتًا، ثم إنك لم تعيدى سلسلة المفاتيح إلى جيبك بعد .

هتفت مبهورة :

ـ رباه !.. يبدو أننى أتعامل مع (شيرلوك هولمز)(★) نفسه .

ابتسم فى هدوء، ثم سألها فى اهتمام :

ـ هل أرسلت الطرد ؟

أجابته فى حماس :

ـ بالبريد المباشر الفورى، وسيصل فى غضون نصف الساعة على الأكثر .

قال فى ارتياح :

ـ عظيم .. بقى أمر واحد .

سألته فى اهتمام :

ـ وما هو ؟

(★) (شيرلوك هولمز) : شخصية خيالية، من ابتكار (آرثر كونان دويل)، وهو كاتب بريطانى، حصل من أجل مؤلفاته على لقب (سير)، و (هولمز) بوليس سرى خاص، يجيد فن الاستنتاج لدرجة مدهشة، ويحقّق به نجاحاته كلها .



جذبها معه إلى الأرض ، فى نفس اللحظة التى اخترقت فيها رصاصة زجاج النافذة ..

التفت إليها ، يسألها :

- عندما طاردك رجال المنظمة ، هل كانوا يرتدون ثيابًا خاصة ؟

أجابته بسرعة :

- كلّا .. كانت ثيابهم عادية .

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول فى اقتضاب :

- عظيم .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا :

- فى هذه الحالة ، يمكننا أن ..

وبتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق عبر النافذة ، قبل أن يقفز إلى الخلف بغتة ، هاتفًا :

- احترسى .

جذبها معه إلى الأرض ، فى نفس اللحظة التى اخترقت فيها رصاصة زجاج النافذة ، وهشمّته بضجيج عنيف ، فهتفت (جيهان) :

- رباه !.. لقد توصّلوا إلينا .

صاح بها ، وهو ينهض فى سرعة :

- اتبعينى .

قالها ، وانطلق يعدو خارج المنزل ، فانطلقت خلفه بلا تردُّد ، وعندما بلغا مدخل البناية ، كان الرجل الذى أطلق

النار على (أدهم) يثب داخل سيارة كبيرة ، انطلقت به مبتعدة ، فوثب (أدهم) داخل سيارة (جيهان) بدوره ، ولحقت هى به ، هاتفة :

- هل سننطلق خلفه ؟

أجابها ، وهو ينطلق خلف سيارة القاتل بالفعل :

- حتمًا .. إننا لا نعلم إلى أى فريق ينتمى ، ومن الضرورى أن نعرف أيهم توصَّل إلينا ، فهذا يضع النقاط على الكثير من الحروف .

سألته فى اهتمام :

- وما الفارق فى أى فريق كشف أمرنا ؟

قال وهو ينحرف خلف سيارة القاتل ، التى تخترق شوارع المدينة فى سرعة :

- فارق ضخم يا زميلتى العزيزة ، فلو أن الروس هم الذين كشفوا أمرنا ، فسيعنى هذا أن الخطر بالغ ، إذ إن صديقنا (كوربوف) يعتبرنى الخطر الأكبر فى طريقه ، ثم إنه لا يلتزم سوى بقاعدة واحدة .. اقتل أوَّلًا ، ثم سل عما يحدث فيما بعد .. أما لو كانوا الأمريكيين ، فهذا يعنى ضرورة التحرُّك بسرعة أكبر لحسم الموقف ، قبل أن يشغلونا بالقتال معهم عن القتال من أجل الهدف الأصلى .

قالت فى اهتمام :

- بقى احتمال واحد .. أن تكون تلك المنظمة الخاصة هى التى كشفت أمرنا .

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة سيدهشنى كثيرًا أن يحاولوا التخلُّص منا ، قبل سماع عرضنا بشأن صفقتهم .

كانت سيارة القاتل تنطلق إلى خارج المدينة ، فى هذه اللحظة ، فانطلق خلفها (أدهم) ، محاولًا عدم كسر إشارات المرور ، أو إثارة توتر رجال الشرطة ، خاصة وأن سيارة القاتل لم تكن تنطلق بسرعة كبيرة ، وكأنها لا تشعر بمطاردته لها ..

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كانت السيارتان تنطلقان خارج المدينة بالفعل ، فقالت (جيهان) فى حيرة :

- لِمَ لا نلحق به ، ونحطِّم أنفه ، لمعرفة من أرسله ؟

ابتسم فى سخرية ، قائلًا :

- يا لرقة مشاعرك !.. كلَّا يا زميلتى العزيزة ، ليس من الأفضل أن نلحق به ، فقد يقع فى قبضتنا ، ثم يتضح أنه من الطراز الشديد الصلابة ، الذى يرفض الإدلاء بما لديه ، حتى لو مزقت أطرافه إربًا .. ما دام لا يشعر بمطاردتنا له ، فلنتبعه إلى حيث يذهب ، ولا شك فى أن هذا سيقودنا إلى معلومات أكثر دقة وأكثر غزارة .

هزّت كتفيها ، ومطّت شفتيها ، قائلة :

- كما تشاء .. أنت الرئيس هنا .

قالتها وران عليهما الصمت طويلًا ، وهما يتبعان سيارة القاتل ، حتى بلغا منطقة بحيرات متجمدة ، تبدو صامتة تمامًا ، مع حلول الظلام ، فانحرفت إليها سيارة القاتل ، وانحرف خلفها (أدهم) ، و ....

وفجأة ، تفجّر في رأسه شيء ما ..

فجأة ، انتبه إلى أن المنطقة صامتة ومقفرة ، وبعيدة عن العمران بأكثر مما ينبغي ..

وفي نفس اللحظة ، التي انتبه فيها إلى هذا ، لمح مصابيح السيارتين ، اللتين برزتا خلفه ، في ذلك الطريق الفرعي ..

وعند هذه النقطة ، لم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء بالغ ، ليدرك أنه وقع في الفخ ..

فخ محكم للغاية ..

★ ★ ★

حدّق (سيرجي كوربوف) في وجه (ستيفان) طويلًا ، في مزيج من الدهشة والاستنكار ، قبل أن يقول في شيء من الحدة :

- يخيّل إليّ أن ما تقوله نوع من المزاح السخيف ، أو أنها عبارة خرقاء حمقاء ، لاتحمل أدنى قدر من المسئولية .

ابتسم (ستيفان) ، وهو ينهض إلى البار الصغير في مكتبه ، قائلًا :

- بل هو عرض حقيقي يا مستر (كوربوف) ، وفي حالة قبولكم له ، أضمن لك أن تستعيدوا أسطوانتكم ، وألا يحصل عليها سواكم .

قال (كوربوف) في حدة :

- ولكن صواريخنا ذات الرءوس النووية ، ليست سلعة قابلة للبيع أو التفاوض .. إنها مخزوننا من الأمن الاستراتيجي !!

هزّ (ستيفان) كتفيه بلا مبالاة ، وهو يصب لنفسه كأسًا من الخمر ، قائلًا :

- كان هذا فيما مضى يا عزيزي (كوربوف) ، أما الآن ، فالعالم أجمع يدرك ما آل إليه حالكم ، بعد الانهيار الاقتصادي الحالي .. إن شعبك يتضوّر جوعًا يا رجل ، في نفس الوقت الذي ظهرت فيه فئة من أصحاب الملايين ، وانتشرت الجريمة المنظّمة على نحو لم يحدث من قبل ، وكل هذا يشير إلى أنه من المستحيل أن تفكّر حكومتك في

خوض حرب شاملة ، تحت أية ظروف أو ضغط ، ويعنى أن مخزونكم الاستراتيجى من الصواريخ ، ذات الرءوس النووية ، لن يعدو كونه مجرَّد أرقام جافة ، فى قوائم الأسلحة غير التقليدية .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ هذا لا يعنى أن نبيعها ، أو نبادل بها أشياءَ أخرى ، مهما بلغت قيمتها .

ابتسم (ستيفان) فى خبث ، قائلًا :

ـ ولِمَ لا ؟!.. أنتم تريدون أسطوانتكم ، ونحن نريد تلك الصواريخ .. إنها تبدو لى صفقة عادلة للغاية .

نهض (كوربوف) من مقعده ، قائلًا فى حدة :

ـ خطأ يا مستر (ستيفان) .. خطأ .. لو أننا منحنا صواريخنا ، ذات الرءوس النووية ، لكل من يطلبها ، أو يقايضنا عليها ، لأتى يوم تتوجَّه فيه صواريخنا نحو صدورنا ، وتهدِّد سلامتنا وأمننا .. كلا .. إنها صفقة مستحيلة تمامًا .

التفت إليه (ستيفان) فى صمت ، وارتشف رشفة من كأسه ، وهو يسأله :

ـ قل لى يا مستر (كوربوف) : هل تعرف ما الذى تحويه تلك الأسطوانة المدمجة ؟

انعقد حاجبا (كوربوف) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ليس من شأنى أن أعرف .. إننى أنفذ أوامر رؤسائى فحسب .

هزَّ (ستيفان) كتفيه ، قائلًا :

ـ فليكن .. استشر رؤساءك إذن .

ازداد انعقاد حاجبى (كوربوف) ، وهو يقول :

ـ فيم ؟

أجابه (ستيفان) فى هدوء ، وهو يرتشف رشفة أخيرة من كأسه ، ويرمق (كوربوف) بنظرة جانبية ، ليستشف تأثير عبارته عليه :

ـ فى شأن الصفقة .. اتصلِ بهم ، وانظر ماذا يرون بشأنها .

قال (كوربوف) فى حدة :

ـ سيرفضون حتمًا .

ابتسم (ستيفان) فى سخرية ، قائلًا :

ـ استشرهم أوَّلًا يا مستر (كوربوف) .

رمقه (كوربوف) بنظرة طويلة صامتة ، ثم قال :

ـ فليكن يا مستر (ستيفان) .. سأفعل .

ثم لوَّح بسبَّابته فى وجهه ، مستطردًا فى حدة :

- ولكن ثق بأنهم سيرفضون هذه الصفقة القذرة .. سيرفضونها تمامًا .

ظلّ (ستيفان) صامتًا ، حتى غادر (كوربوف) المكان كله ، ثم أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يصبّ لنفسه كأسًا أخرى ، قائلًا :

- يرفضونها ؟!.. سنرى يا مستر (كوربوف) .. سنرى .

وعاد ليجلس خلف مكتبه ، ولكنه لم يكد يستقرّ على مقعده ، حتى دخل أحد مساعديه إلى مكتبه ، وناوله شريط تسجيل صغير ، قائلًا :

- لقد وصل هذا بالبريد الفورى العاجل ، ومن الواضح أن اسم الراسل زائف .

تطلّع (ستيفان) إلى الشريط فى قلق ، ثم التقطه ، ووضعه فى جهاز التسجيل المجاور له ، وراح يستمع إليه فى اهتمام ..

واتسعت عيناه فى ارتياع ..

فقد كان ما يسمعه عنيفًا ..

عنيفًا للغاية ..

* * *

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتى الجنرال (تورنسول) ، وهو يتطلّع إلى ساعة يده ، قائلًا :

- الآن يكون الفخ قد أطبق على رجل المخابرات المصرى .

مطّ (كيلرمان) شفتيه ، وهو يقول :

- فرضية جدلية .

انعقد حاجبا (تورنسول) فى صرامة ، وهو يقول :

- بل برنامج موضوع بدقة بالغة يا (كيلرمان) .. فخ متقن إلى الحد الذى يكفى لخداع محترف من الطراز الأوّل ، مثل (أدهم صبرى) .. محاولة اغتيال فاشلة ، مجهولة المصدر ، وبعدها يفرّ القاتل ، ويبدو وكأنه لاينتبه إلى أن الشخص المستهدف يتبعه .. ماذا تفعل لو أنك محترف ، مثل (أدهم) هذا ؟.. ستطارده خفية بالطبع ، دون الإفصاح عن نفسك ، حتى يمكنك التوصّل إلى مكمنه ، ومعرفة الجهة التى يعمل لحسابها .. فخ لا يمكن مقاومته يا رجل .

قال (كيلرمان) فى شىء من العصبية :

- ربما لم تنطل عليه الخدعة .

ابتسم (تورنسول) فى ثقة ، وهو يقول :

- عندما أضع خطة للإيقاع بشخص ما ، فأنا أختار الخطة القادرة على خداعى شخصيًا ، لو كنت فى الموقف نفسه ، علمًا بأننى شخص غزير الشك ، لا أثق حتى فى أصابعى ، وليس من السهل توريطى فى فخ ما .

نفث (كيلرمان) دخان سيجارته ، قائلًا :

- ومن أدراك أنه وقع فى الفخ ؟!.. هذا المصرى اعتاد دائمًا مباغتتنا بكل مالا نتوقّعه .

لوّح (تورنسول) بسبّابته نفيًا فى الهواء ، وهو يجيب :

- لو أنه لم يفعل ، لتلقيت إشارة لاسلكية من رجالى ، وعدم وصول تلك الإشارة يعنى أن كل شىء ما زال يسير وفقًا للخطة ، وعندما يطبق الفخ عليه تمامًا ، سيرسلون إشارة أخرى؛ لإبلاغنا بهذا .

غمغم (كيلرمان) فى توتر :

- أرجو أن يمكنهم إرسالها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاختطف سمّاعته بحركة سريعة ، قائلًا :

- (كنوبى) .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت (ستيفان) ، وهو يقول فى توتر واضح :

- مستر (كنوبى) .. جميل أن وجدتك ، فلدى ما أحب أن أسمعك إياه .

احتقن وجه (كيلرمان) فى شدة ، والهاتف ينقل إليه كل حرف ، تبادله مع (جير) ، بكل تفاصيل خطة العملية الانتحارية ، التى اتخذا قرارهما بشأنها ، ولم يكد البث ينتهى ، حتى هتف (كيلرمان) فى حدة :

- زائف .. هذا الشريط زائف .

أجابه (ستيفان) فى صرامة :

- بل هو تسجيل حقيقى يا مستر (كنوبى) .. لقد أخضعناه للمحلّل الصوتى ، وتأكدنا من أنه حقيقى .

ازدرد (كيلرمان) لعابه فى توتر شديد ، وهو يقول :

- مستر (ستيفان) .. يمكننى أن أوضّح الأمر .

أجابه (ستيفان) فى غضب :

- لسنا بحاجة إلى التوضيح يا مستر (كنوبى) ، فكل شىء يبدو لنا واضحًا جليًا .. لقد عرفنا نواياكم بشأننا بالضبط .

قال (كيلرمان) فى عصبية :

- فليكن .. إنه ليس أمرًا شخصيًا كما تعلم .. إنها ضروريات العمل ..

أجاب (ستيفان) :

- بالطبع يا مستر (كنوبى) .. بالطبع .. نحن نقدّر هذا ، ونعرف ما الذى يمكن أن تدفعك إليه هذه الضروريات .

شسر (كيلرمان) بدهشة لذلك الحوار ، فغمغم .

- حقًا ؟!

أجابه (ستيفان) فىّ حماس مصطنع :

- بالتأكيد يا مستر (كنوبى) .

ثم أضاف فى لهجة تقطر دهاءً :

- ولكن هناك تغيير بسيط سيحدث فى الخطة حتمًا .

سأله (كيلرمان) فى حذر :

- أى نوع من التغيير ؟

استعاد صوت (ستيفان) صرامته ، وهو يقول :

- سيرتفع المبلغ المطلوب من مليار دولار إلى مليار ونصف ، وسنمنحكم يومًا واحدًا لإتمام الصفقة ، وإلا أتممناها مع الروس .

صاح (كيلرمان) فى حدة :

- الروس لا يمكنهم منحكم ربع هذا المبلغ ، وإلا لانهار اقتصادهم كله .

أجابه (ستيفان) فى صرامة :

- ربّما .. ولكن لديهم وسائل أخرى للسداد .

ثم أضاف بلهجة قاسية حاسمة :

- يوم واحد فقط يا مستر (كنوبى) ، وبعدها لن تتم أية صفقات بيننا .

قالها ، وأنهى الاتصال فى عنف ، جعل (كيلرمان) يهتف محنقًا :

- اللعنة !

سأله (تورنسول) فى اهتمام :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

أجابه محتدًا :

- ذلك المصرى أفسد العملية كلها .. إنه لم يكن هنا ليتشاجر معى فحسب .. لقد سجّل حوارى مع (جير) حول العملية الانتحارية ، ثم أرسل التسجيلات لذلك الحقير (ستيفان) .

احتقن وجه (تورنسول) بدوره ، وهو يقول :

- إذن فلم يعد لوجودنا أى داع .

ثم صاح محنقًا :

- ألم أقل لك : إن الخطوة الأولى هى القضاء على ذلك المصرى ؟

لوّح (كيلرمان) بيده ، هاتفًا :

- إنه لك .. أرنا ما ستفعله به .

هتف (تورنسول) فى غضب هادر :

- سترى ما يمكن أن يفعله الجنرال (تورنسول) ورجاله .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز خاص من جهاز الاتصال فى جيبه ، فهتف فى حماس :

- الإشارة .. لقد وقع فى الفخ .

ثم انتزع جهاز الاتصال من جيبه ، وقال فى انفعال :

- الصيد فى قبضتكم يا رجال .. لقد ألغيت العملية الرئيسية ، بعد أن انكشف أمرها بسبب ذلك الصيد .. الرجل الذى أوقعتم به وجّه إليكم أكبر إهانة فى حياتكم ، بإفساده عمليتكم الرئيسية .. استردوا كرامتكم واظفروا به .. أريده كومة من اللحم المفرى ، تعجز أمه نفسها عن تعرُّفه .. هيا .. انطلقوا .

كان يعلم أنه بكلماته هذه قد حوّل رجاله العشرة إلى وحوش كاسرة ..

وحوش تستهدف كلها فريسة واحدة ..

رجلنا (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

« ماذا دهاك يا (أدهم) ؟... »

دوت الصرخة فى أعماقه غاضبة ثائرة ، فور انتباهه إلى السيارتين ، اللتين قطعتا عليه طريق العودة ..

وامتلأت نفسه بالسخط على نفسه ..

كيف لن ينتبه إلى هذا الفخ ؟!..

كيف وقع فيه بهذه البساطة ؟!..

كان يعترف فى أعماقه بأنه فخ متقن ، تم إعداده ببراعة فائقة ، ودقة مدهشة ، نجحت فى خداعه بالفعل ، إلا أنه لم يستطع أن يغفر لنفسه وقوعه فيه على هذا النحو ..

ولكن من حسن الحظ أن غضب (أدهم صبرى) يتحوّل دائمًا إلى طاقة إيجابية رهيبة ، تنبض بها عروقه ، وتصرخ بها كل عضلة فى جسده ..

وبكل غضبه وحزمه ، قال لزميلته الجديدة :

- تشبثى بمقعدك جيدًا .

أطاعته (جيهان) بحركة غريزية ، وقبل أن تسأله عما دفعه إلى هذا القول ، كان ينحرف بالسيارة بغتة ، متجاوزًا الطريق الرئيسى الضيق ، إلى الغابة غير الممهّدة إلى يساره ..

ولم يكد يفعل هذا ، حتى فهمت (جيهان) الموقف على الفور ..

لقد انطلق من السيارتين الخلفيتين صرير عنيف ، قبل أن تتضاعف سرعتهما ، وتنحرفا إلى الغابة بدورهما ..

ثم لحقت بهما السيارة الأمامية ..

ويدأت مطاردة عنيفة وسط الغابة ..

كان (أدهم) ينطلق بأقصى سرعة، وسط الأشجار العديدة، فيدور حولها فى مهارة مدهشة، ويتجاوزها فى خفة بلا حدود، و (جيهان) تهتف:

- إنه فخ إذن !!

أجابها فى حزم:

- جميل منك أن لاحظت هذا .. أخبرينى يا زميلتى العزيزة، كم رصاصة تحملينها معك.

انتزعت مسدسها على الفور، وهى تقول فى حماس:

- ست رصاصات، هى كل محتويات خزانة مسدسى .. وماذا عنك ؟

أجاب فى سخرية:

- أتفوق عليك بالطبع، وأحمل فى مسدسى ثمانى رصاصات دفعة واحدة ألست رئيسك المباشر ؟

قالت فى حزم:

- أعتقد أن هذا يكفينا.

ثم برزت بنصفها العلوى من النافذة، وأطلقت النار نحو السيارات المطاردة ..

كان (أدهم) شديد البراعة، فى القيادة فوق هذه الأرض غير الممهدة، إلا أن براعته هذه لم تمنع الارتجاج

العنيف للسيارة، الذى منع (جيهان) من إجادة التصويب على السيارات المطاردة، التى ينطلق سائقوها ببراعة منقطعة النظير أيضًا ..

ولكن رد الفعل جاء عنيفًا للغاية ..

فلم تكد رصاصاتها تنطلق، حتى انهال عليها وابل من الرصاصات، من ركاب السيارات الثلاث، فتراجعت بسرعة إلى داخل السيارة، هاتفة:

- رباه !.. إنهم محترفون !

أجابها (أدهم)، وهو ينحرف بسيارته فى سرعة:

- وهل راودك أدنى شك فى هذا ؟

ارتطم جانب سيارته بإحدى الأشجار، قبل أن يندفع إلى منطقة أقل كثافة، فى حين ارتفع من خلفه صوت ارتطام إحدى السيارات الثلاث بواحدة من الأشجار، فقال ساخرًا:

- هذه أكبر فائدة للسيارات الرياضية الصغيرة، التى تميلين إلى استئجارها يا زميلتى العزيزة، فهى أخف وزنًا، وأقل حجمًا، وأكثر سرعة، مما يجعلها السيارة المثالية، فى مثل هذه الظروف.

ألقت نظرة خلفها، وهى تقول:

- ولكن السيارات الأخرى قوية أيضًا، وقدرتها أكبر على احتمال الصدمات، والدليل على هذا أن واحدة من السيارات الثلاث لم تخرج من الخدمة بعد.

أجابها فى حزم :

ـ وهذا يعنى أن القوة وحدها لن تحسم هذا الصراع .

وانحرف بغتة بالسيارة ؛ ثم أطفأ أنوارها ، مستطردًا :

ـ هناك الذكاء والبراعة أيضًا .

قالها ، وهو يدور بالسيارة حول نفسها ، ثم ينزلق بها بين صفين من الأشجار ، فسألته (جيهان) فى همس ، وكأنها تخشى أن يكشف صوتها موقعهما :

ـ ما الذى تنوى فعله بالضبط ؟

أجاب فى هدوء :

ـ سترين .

كانت السيارات الثلاث القوية تنطلق باحثة عنه فى شراسة ، ومصابيحها تشق الغابة ، وتلقى ظلالًا قوية متشابكة ، للأشجار والنباتات الغزيرة ، على نحو تتداخل معه المشاهد والمناظر والأشياء ، و ...

وفجأة ، أضاء (أدهم) مصباحى سيارته مرة أخرى ، وانقض بها على منتصف الطابور الصغير مباشرة ، وهو يستلّ مسدسه ، ويطلق رصاصاته ..

واتسعت عينا (جيهان) فى دهشة وانبهار كبيرين ..

فعلى الرغم من الارتجاج العنيف ، ومن أن (أدهم) يستخدم يده اليسرى ، فقد نجح فى إصابة ثلاثة مصابيح ،

وإطارين ، وأحد سائقى السيارات ، قبل أن ينحرف بسيارته فى براعة ، ويتجاوز السيارات الثلاث بقفزة مدهشة ..

وفى غضب ، صرخ قائد الانتحاريين العشرة :

ـ طاردوه يا رجال .. لن نسمح له بالإفلات منا قط .

اضطرت إحدى السيارات الثلاث إلى التوقف ؛ لاستبدال إطاريها التالفين ، بعد أن استعارت الإطار الاحتياطى لسيارة أخرى ، فى حين انطلقت السيارتان الأخريان تواصلان المطاردة فى إصرار وحشى عنيف ..

وفى سيارة (أدهم) ، هتفت (جيهان) :

ـ يبدو أننا لم نعطلهم طويلًا .

أجابها (أدهم) :

ـ لقد أخرجنا إحدى السيارات من السباق ، وهذا يكفى كبداية .

زفرت فى توتر ، قائلة :

ـ المهم هو ما الذى تحمله لنا النهاية .

أجاب فى صرامة :

ـ اتركى الجواب للزمن .

ابتسمت ساخرة ، وهى تقول :

ـ أيعنى هذا أنه ما زال أمامنا زمن ؟!

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى ارتفع صفير قوى من بعيد ، فشهقت هاتفة :

- رباه !.. إننا نتجه نحو شريط القطار .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يلمح مصباح القطار ، القادم من بعيد ، وألقى نظرة على المرآة الجانبية لسيارتـه ، فأدرك أن السيارتين المطاردتين تسعيان لمحاصرتـه بينهما ، فقال فى حزم :

- تُرى كم تبلغ سرعة القطارات هنا ؟

أدهشها سؤاله فى البداية ، ثم لم تلبث أن انتبهت فجأة إلى ما يرمى إليه ..

وتطلّعت فى توتر شديد إلى القطار ، الذى يقترب فى سرعة ، و ....

وفجأة ، عادت الرصاصات تنهمر على السيارة فى عنف وغزارة ..

وبنظرة واحدة ، أدركت (جيهان) سبب هذا ..

لقد برز من كل من فتحتى سقف السيارتين ، أحد المحترفين العشرة ، وقد أمسك كل منهما مدفعًا آليًا قويًا ، وراح يمطرهما برصاصاته ..

وانحنت (جيهان) فى مقعدها ، وهى تطلق صرخة متوترة ، والرصاصات تخترق الزجاج الخلفى للسيارة ،

وتهشّمه بدوى مكتوم ، فتتناثر قطعه الصغيرة فى كل مكان ..

أما (أدهم) ، فلم ينحن لحظة واحدة ..

لقد انعقد حاجباه فى حزم مخيف ، وهو ينطلق بالسيارة بأقصى سرعتها ، فى سباق رهيب مع الزمن ، يستهدف به بلوغ قضبان السكك الحديديـة ، قبل أن يبلغها القطار القادم ، الذى يقترب أيضًا بسرعة مدهشة ..

واخترقت إحدى الرصاصات زجاج السيارة الأمامى ، بعد أن مرقت على مسافة سنتيمتر واحد من أذنـه ، وأطاحت ثانية بالمرآة الداخلية ..

إلا أنه لم يتحرّك قيد أنملة ..

كان يبدو وكأنه قد استحال إلى آلة مبرمجة للقيادة بأقصى سرعة ..

آلة لا تعرف الخوف أو القلق ..

وكان الموقف شديد التعقيد بالفعل ..

القطار يقترب فى سرعة ، من المنحنى الذى يندفع نحـوه (أدهـم) ، وسيارتـا المطارديـن تقتربـان ، والرصاصات المنهمرة منهما لا تنقطع ..

واتسعت عينا (جيهان) فى ارتياع ، وهى تتابع القطار ببصرها ، هاتفة :

ـ لن نفلح .. لن نفلح .

كانت السيارة تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، وكان من الواضح أنها لن تنجح فى عبور المسافة المتبقية فى الوقت المناسب ..

ولكن (أدهم) ضغط دوّاسة الوقود أكثر وأكثر ..

كان وكأنه يستحث السيارة على مجاراته فى كسر حاجز المستحيل ، والانطلاق بسرعة تفوق سرعتها القصوى ..

وفى سيارتى المطاردين ، هتف أحد المحترفين :

ـ ما الذى يفعله هذا المجنون ؟.. سيرتطم بالقطار حتمًا .

هتف به زميله :

ـ دعه يفعل .. سيوفّر علينا الجهد اللازم للقضاء عليه .

أمسك زميل ثالث بيده ، وقال فى انفعال :

ـ أتمنى أن ينجح فى تجاوز القطار .

سأله الأوّل فى دهشة :

ـ ولماذا ؟

أشار الرجل بسُبابته إلى ضوء يبرز من بعيد ، فارتفع حاجبا زميله ، قبل أن يلتقيان معًا وهو يطلق ضحكة شرسة ، قائلًا :

ـ نعم .. أتمنى هذا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت (جيهان) تراقب القطار ، هاتفة :

ـ لن ننجح يا (أدهم) .. لن ننجح .. إنه يقترب بسرعة .

ولكن (أدهم) لم يجب ، وإنما انحرف إلى اليسار قليلًا ، وانطلق بزاوية حادة نحو القضبان ، ثم انحرف فجأة نحوها ، وانقضّ عليها مباشرة ، وقد صار القطار على مسافة ستة أمتار فحسب ، وصرخت (جيهان) :

ـ قف .. قف بالله عليك .. لن ننجح أبدًا .

ومع صرختها ، وثب (أدهم) بالسيارة ..

وكان المشهد رهيبًا بحق ..

لقد بدا وكأنه عملية بهلوانية انتحارية ، منفذة بدقة مذهلة ، فالسيارة قفزت أمام القطار مباشرة ، وتجاوزته قبل أن يرتطم بها بجزء من مائة جزء من الثانية ..

وصرخت (جيهان) فى حماس جنونى ، والسيارة تستقر فوق القضبان العكسية ، والقطار ينطلق من خلفها بسرعته الكبيرة :

ـ لقد فعلتها .. فعلتها بحق .. لقد ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، سطع ذلك الضوء المبهر فى وجهها ..

وفجأة ، انتبهت إلى ذلك القطار المضاد ، الذى يندفع نحو السيارة بسرعة مخيفة ..

وفى هذه المرة كانت صرختها تختلف ؛ فقد حملت الكثير من الرعب ..

ومن اليأس .

★ ★ ★



وفجأة ، انتبهت إلى ذلك القطار المضاد ، الذى يندفع نحو السيارة بسرعة مخيفة ..

١٢ ـ المحترفون ..

أوقف (زورين) ، نائب رئيس المخابرات الروسية ، سيارته الصغيرة ، أمام ذلك المبنى القديم ، فى قلب (موسكو) ، وغادرها وهو يرفع ياقة معطفه ؛ ليخفى بها نصف وجهه ، ودق الباب ثلاث دقات منتظمة ، وانتظر حتى فتح (بوريس) الباب ، فدلف إلى المكان فى سرعة ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ هل وصل الجميع هنا ؟

أجابه (بوريس) ، وهو يقوده إلى حجرة الاجتماعات :

ـ الجميع فى انتظارك يا سيِّدى .

دلف (زورين) إلى قاعة الاجتماعات الصغيرة ، وألقى نظرة طويلة على وجوه الرجال الخمسة ، الذين احتلوا مقاعدهم حول المائدة ، وقد ارتسم على وجوههم قلق واضح ، لم يحاول أحدهم إخفاءه ، وقال فى برود :

ـ حسن .. لماذا طلبتم عقد هذا الاجتماع العاجل ؟

أجابه أحدهم متوتّرًا :

ـ إننا نشعر بالقلق .

صبَّ (زورين) لنفسه كأسًا من الفودكا ، وهو يسأل :

ـ من أجل ماذا ؟

تبادلوا نظرة متوترة ، ثم انبرى أحدهم ، قائلًا :

ـ الوقت يمضى بسرعة ، ومازالت الأسطوانة فى قبضة عدو نجهله ، وكلنا نعلم أنه لو انكشف أمرنا ، أو انكشفت محتويات الأسطوانة ، ستكون نهايتنا بشعة .

ارتشف رشفة من كأسه ، وتحسَّس شفتيه بلسانه ، وكأنما يمنح نفسه فرصة للتفكير ، قبل أن يجيب :

ـ قلت لكم : لا داعى للقلق .. لقد أرسلت فريقًا من أفضل رجالنا ؛ لاستعادة تلك الأسطوانة ، وكلى ثقة فى قدرتهم على العمل .

سأله آخر فى قلق :

ـ وهل ينتمون إلينا ؟.. أعنى هل يعملون لحسابنا ؟

صمت (زورين) لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ إنهم رجال مخابرات محترفون .

تبادل الرجال الخمسة نظرة أخرى متوترة ، قبل أن يكرِّر الرجل سؤاله :

ـ ليس هذا هو المهم يا (زورين) .. المهم هو : هل هم أعضاء فى منظمتنا أم لا ؟

انعقد حاجبا (زورين) ، وهو يجيب :

ـ هذا لا يهمّ .

هتف آخر مذعورًا :

ـ كيف ؟!.. إنك تطالبهم بإحضار أسطوانة مدمجة ، تحوى أدق أدق أسرارنا ، فكيف لا يهمنا إذ ما كانوا يعملون لحسابنا ، أم أنهم من أنصار التطور الإصلاحى الجديد ؟

قال فى حدة :

ـ قلت : إنهم رجال مخابرات محترفون ؟

ولوّح بيده فى غضب ، مستطردًا :

ـ سينفذون الأوامر ، ويحطمون تلك الأسطوانة تمامًا ، دون أن يحاولوا إلقاء نظرة واحدة على محتوياتها .

قال (أحدهم) فى عصبية :

ـ وكيف يمكنك أن تثق فى هذا ؟

ضرب سطح المائدة بقبضته ، وهو يجيب محتدًا :

ـ رجل المخابرات المحترف ينفذ الأوامر بلا مناقشة ، والأوامر التى تلقوها تحتم عليهم عدم الاطلاع على محتويات الأسطوانة .

سأله آخر مترددًا :

ـ كيف يعرفون إذن أنها الأسطوانة الصحيحة ؟

أجابه (زورين) فى صرامة :

ـ الكود السرى فى بداية الأسطوانة سيرشدهم إلى أنها الأسطوانة الصحيحة .

لمح ظلالًا من الشك فى عيونهم ، فأضاف بسرعة :

ـ ثم إن رئيس الفريق ما زال يميل كثيرًا إلى النظام القديم .

تهلّلت أساريرهم ، وهتف أحدهم :

ـ حقًا ؟!.. إنه أحدنا إذن .

لم يجب (زورين) هذه المرة ، وإنما اكتفى بارتشاف رشفة أخرى من كأسه ، قبل أن يقول :

ـ ثم إننى اتخذت كل الاحتياطات اللازمة .

تبادلوا نظرة قلقة حائرة ، قبل أن يسأل أحدهم مترددًا :

ـ كيف هذا ؟

ارتسمت ابتسامة باردة على شفتى (زورين) ، قبل أن يجيب :

ـ قرّرت تنفيذ العملية مبكرًا .

هوى عليهم جوابه كالصاعقة ، فامتقعت وجوههم ، وتبادلوا نظرة ارتياع ، قبل أن يهتف واحد منهم غاضبًا :

ـ هل اتخذت هذا القرار وحدك ؟!

انعقد حاجبا (زورين) فى شدة ، وهو يقول :

ـ كان هذا هو أفضل قرار يمكن اتخاذه ، فى مثل هذه الظروف ، ولم يكن هناك وقت لاستشارة الجميع .

أجابه آخر فى حدة :

ـ ولكنه قرار يمسنا جميعًا ، كان يجب أن تستشيرنا بشأنه ، قبل الإقدام على خطوة حاسمة كهذه .

قال (زورين) فى صرامة :

ـ العملية كلها كانت مهدَّدة بالخطر ، فيما لو انكشف أمر المنظمة ، ولم يكن من الممكن أبدًا أن تتوقف عملية (الإعصار الأحمر) .. بل ولم يكن هذا منطقيًا ؛ فلو انكشف التنظيم ، من خلال الأسطوانة المدمجة ، سيُلقى القبض علينا جميعًا ، وينتهى بنا الأمر فى غياهب السجون ، أو وسط ثلوج (سيبيريا) .. أما لو تقدَّم موعد بدء العملية ، فسيعنى هذا أن تبدأ سيطرتنا على الجيش والحكومة مبكرًا ، بحيث لا يعود لكشف الأمر أية أهمية .

وعاد يضرب سطح المائدة بقبضته ، مضيفًا :

ـ وهكذا اتخذت القرار .

غمغم (أحدهم) متوترًا :

ـ ولكن يا (زورين) ...

قاطعه فى صرامة :

ـ الأوامر صدرت بالفعل ، وبات من المستحيل التراجع عنها .

ـ ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مع استطرادته :

ـ وبعد خمسة أيام من الآن ، سينطلق الإعصار من عقاله ..

واطلَّت من عينيه نظرة مخيفة ، وهو يضيف :

ـ الإعصار الأحمر .

وهوت القلوب بين الضلوع ..

وتحت الأقدام ..

★ ★ ★

لم يكد ذلك الضوء الساطع ، للقطار القادم من الاتجاه العكسى ، يغمر وجهى (جيهان) و (أدهم) ، حتى انطلق عقل هذا الأخير يعمل بسرعة الصاروخ ..

كانت السيارة مستقرة فوق القضبان ، والقطار يبعد عنها بدستة من الأمتار ، يمكنه قطعها فى ثوان معدودة ، والقضبان ستعوق حتمًا عملية الاندفاع بالسيارة عبرها بالسرعة المنشودة ..

لذا فقد أدار (أدهم) عجلة القيادة ، وضغط دوَّاسة الوقود ، وانطلق بالسيارة ..

انطلق فوق القضبان الحديدية نفسها ، وليس عبرها ..

وهتفت (جيهان) فى ذعر :

ـ ماذا فعلت بالله عليك ؟.. القطار يطاردنا الآن ، وسيلحق بنا حتمًا .

لم يلتفت إليها ، وهو ينطلق بالسيارة بأقصى سرعته ، محاولًا اكتساب قوة دفع مناسبة ، والقطار يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، مال (أدهم) بالسيارة ، وقفز خارج الشريط الحديدى ..

وصرخت (جيهان) فى قوة ، والسيارة تطير فى الهواء ، على مسافة تقلّ عن نصف المتر ، من مقدّمة القطار ..

ولكن السيارة عبرت الخطر هذه المرة ..

تقريبًا ..

ففى الجزء الأخير من الثانية ، وبعد أن عبرت السيارة الفراغ كله ، لحق بها القطار ، وضرب حاجز الصدمات الخلفى بكل قوته ..

وعلى الرغم من أن الجزء الذى أصابه القطار ، لم تزد مساحته عن عشرة سنتيمترات مربعة ، إلا أن الصدمة بدت عنيفة للغاية ، حتى أنها دفعت مؤخرة السيارة فى قوة ، فمالت مقدّمتها على نحو مخيف ، وهى تهبط إلى

الأرض ، وترتطم بها ، ثم تقفز ثانية فى مشهد بشع ، وتدور حول نفسها فى الهواء ، ثم تسقط مرة أخرى ، وتنقلب على جانبها فى عنف ، وسط عاصمة هائلة من الغبار ..

ولثوان ، راح القطار ينطلق فوق القضبان ، والسيارة مستقرة على جانبها ، ساكنة صامتة ، على مسافة أمتار ثلاثة منه ..

ثم برز (أدهم) من نافذة السيارة ، وانحنى يجذب (جيهان) ، ويساعدها على الخروج من السيارة ، وهى تسعل هاتفة :

ـ مستحيل !.. هل نجونا ؟

أجابها فى حزم :

ـ مؤقتًا .. مازال هؤلاء الأوغاد يطاردوننا .

سعلت مرة أخرى ، قائلة :

ـ أعتقد أنهم ظفروا بنا ، فلم تعد لدينا وسيلة للفرار .

تلفّت حوله ، قبل أن يشير إلى نقطة بعيدة ، قائلًا :

ـ ربّما ، ولكن هناك مكان نلجأ إليه على الأقل .

تطلّعت إلى حيث يشير ، ووقع بصرها على مطعم مغلق ، من المطاعم التى ينشط العمل فيها فى فصل الصيف ، فهتفت :

ـ هل تعتقد هذا ؟

لم يجبها (أدهم) ، فقد انهمك بانتزاع قدَّاحة السيارة ، وألقاها مشتعلة أرضًا ، فوق الوقود الـذى سال من السيارة ، قبل أن يهتف بها :

ـ هيا بنا .

انطلقا يعدوان نحو ذلك المطعم المغلق ، وهى تلهث قائلة :

ـ يبدو أن اسمى سيوضع على رأس القائمة السوداء ، فى كل شركات تأجير السيارات ؛ فكل سيارة أستأجرها تنتهى محترقة .

ابتسم ، قائلًا :

ـ المهم ألا تكونى بداخلها عندئذ .

كان القطار قد ابتعد فى هذه اللحظة ، وبرزت سيارتا المطاردين ، وقد لحقت بهما السيارة الثالثة ، وهتف أحد المحترفين داخلها :

ـ ها هى ذى سيارتهما .. لقد أصابها القطار ، فاشتعلت فيها النيران .

لم يكد يتم عبارته ، حتىّ انفجرت السيارة فى قوة ، وتناثرت شظاياها المحترقة ، وامتزج دوى الانفجار بصوت محترف آخر يهتف :

ـ ها هما ذان .. إنهما يعدوان نحو ذلك المطعم القديم هناك .

انطلقت السيارات الثلاث ، وراحت تطلق النيران نحو (أدهم) و (جيهان) ، اللذين جريا بكل قوتهما ، وصاحت (جيهان) :

ـ أرجو ألا يكون الباب مغلقًا بإحكام .

استلّ (أدهم) مسدسه ، هاتفًا :

ـ إنه كذلك حتما .

ودون أن يتوقَّف عن الجرى ، أطلق الرصاصتين المتبقيتين لديه ، على قفل الباب ، فنسفه على الفور ، ثم دفع الباب هاتفًا :

ـ أسرعى .

قفزت (جيهان) داخل المكان ، وأغلق (أدهم) الباب فى قوة ، والرصاصات ترتطم به فى دوى مكتوم ، فقالت هى متوترة :

ـ عظيم .. أصبحنا سجينين داخل المطعم .. أنت فرغت رصاصاتك ، وأنا فقدت مسدسى مع الارتطام .

تلفَّت حوله ، وهو يقول فى حزم :

ـ سنجد ما نقاتل به حتمًا .

فى نفس اللحظة، التى نطق فيها عبارته، كانت السيارات الثلاث تتوقف خارج المكان، وهتف قائد المحترفين العشرة فى صرامة :

- لقد وضعا نفسيهما بأيديهما فى المصيدة .. حاصروا المكان يا رجال .. لقد انتهت العملية تقريبًا .

انتشر الرجال العشرة حول المطعم، واستعدوا لاقتحامه بمدافعهم الرشّاشة، وزعيمهم يقول :

- اتخذوا مواقعكم، واستعدوا جيدًا، وسأبدأ العد عكسيًا، من عشرة إلى واحد، وعندما انتهى، سنقتحكم كلنا المكان فى آن واحد .

بلغ الهتاف مسامع (جيهان)، فقالت متوترة :

- عظيم .. أعتقد أنها النهاية .. دعنى أصافحك فى حرارة يا سيادة العميد، لقد كان العمل معك ممتعًا، ويسعدنى أن أموت بصحبتك .

تجاهل (أدهم) يدها الممدودة إليه، وهو يقول فى حزم :

- لم يحن الوقت بعد .

ثم تحرّك فى سرعة، فاتجه إلى المطبخ، وفتح الموقد، فانتشر الغاز الطبيعى فى المكان، وسألته (جيهان) :

- عجبًا !.. هل تفضل الانتحار ؟

ابتسم قائلًا :

- الانتحار للجبناء يا زميلتى العزيزة .

والتقط علبة ثقاب، وراح يثبتها فى إطار الباب الخلفى للمطبخ، ثم انتزع منها عود ثقاب، ثبته بشريط لاصق إلى الباب، بحيث يلمس طرفه ذلك الجزء الخشن، المخصص للاشتعال، فى جانب علبة الثقاب ..

ثم حمل موقد (الميكروويف) الصغير، وأسرع به إلى قاعة الطعام، وأوصله بالتيار الكهربى، وهو يقول :

- ابحثى عن أية عبوات مضغوطة .. مبيدات حشرية، مثبتات شعر .. أو حتى علب الكريمة المخفوقة، التى توضع على سطح القهوة .

أسرعت تبحث بسرعة، فى حين انتزع هو أحد مفارش المائدة، وراح يقطع منه بعض القطع الصغيرة، وأحضر وعاء الكحول(★)، وراح يملأ بعض الزجاجات الفارغة بالسائل، ويسدّها بقطع القماش الصغير، وقائد المحترفين فى الخارج يبدأ عده التنازلى .

(★) الكحول : مركب عضوى، يتركب جزيئه من الكربون والهيدروجين والأكسجين، ويشتمل على مجموعة أو أكثر من مجموعات الهيدروكسيل، وتنقسم الكحوليات إلى كحوليات أحادية وثنائية، وثلاثية، وتختلف فى خواصها الفيزيقية والكيميائية، كما تختلف بين سوائل وجوامد، وهذا فى درجات الحرارة العادية .

- عشرة .. تسعة .. ثمانية ..

قالت (جيهان) فى توتر ، وهى تحمل بعض علب المبيد الحشرى المضغوطة (البخَّاخات) :

- ماذا ينبغى أن أفعل بها ؟

أجابها فى حسم :

- ضعيها فى فرن (الميكروويف) .

هتفت فى دهشة :

- ولكن هذا بالغ الخطورة؛ فلو وضعت أية أشياء معدنية فى (الميكروويف)، سيؤدى هذا إلى انفجاره، و ....

بترت عبارتها بغتة، وقد انتبهت إلى الموقف، فأضافت فى جذل :

- وهذا هو المطلوب .

ابتسم (أدهم)، قائلًا :

- يسعدنى أنك تستوعبين الأمور فى سرعة .

كان الزعيم يواصل فى حزم :

- خمسة .. أربعة .. ثلاثة .. اثنان .

وألقى (أدهم) عددًا من الزجاجات المملوءة بالكحول إلى (جيهان)، قائلًا :

- سنحارب من الطابق العلوى .

انطلقا يعدوان إلى الطابق العلوى، فى نفس اللحظة، التى هتف فيها الزعيم :

- واحد .. اهجموا .

ومع صيحته، بدأ الهجوم ..

وفى آن واحد، اقتحم ثلاثة من المحترفين باب المطعم الرئيسى، ومثلهم باب المطبخ الخلفى، فى حين قفز الأربعة الأخرون عبر النوافذ ..

وكانت المفاجأة الأولى من نصيب أولئك، الذين اقتحموا باب المطبخ الخلفى ..

لقد أطلقوا النار على رتاج الباب من الخارج، ثم انقضوا على الباب بكل قوتهم ..

ومع الدفعة الأولى، احتك رأس عود الثقاب بالسطح الخشن للعلبة ..

واشتعل ..

وكان المكان ممتلئًا بالغاز الطبيعى، الذى التقط لسان اللهب من عود الثقاب، و ...

ودوى الانفجار ..

وسقط اثنان من المحترفين صرعى، فى حين اشتعلت النيران فى الثالث، الذى أطلق صرخات رهيبة، وراح يعدو فى الغابة كشعلة حية، وألقى جسده أرضًا، وراح يتقلّب فى هلع وألم، محاولًا إطفاء نيرانه ..



فالتصق (أدهم) و (جيهان) بالجدار الخشبى ، فى الطابق الثانى ،
وأمسكت هى زجاجات الكحول فى قوة ..

وصاح الزعيم فى غضب :
ـ إنه فخ .. أطلقوا النار .
انطلقت رصاصات الرجال فى كل مكان ، فالتصق (أدهم) و (جيهان) بالجدار الخشبى ، فى الطابق الثانى ، وأمسكت هى زجاجات الكحول فى قوة ، وهى تقول :
ـ هل نبدأ الهجوم الآن ؟
هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :
ـ ليس بعد .. سنبدأ بعد الانفجار الثانى مباشرة .
ثم أخرج من جيبه علبة ثقاب أخرى ، ناولها إياها ، مستطردًا :
ـ ستتولين مهمة إشعال النار .
ابتسمت فى سخرية ، قائلة :
ـ عظيم .. أصبح لى شىء من الأهمية على الأقل .
كانت الرصاصات تنطلق فى غزارة فى الطابق السفلى ، وسمعت (جيهان) الزعيم يقول فى غضب :
ـ ثلاثة يصعدون إلى الطابق العلوى .. من الواضح أنهما يختبئان هناك .
رفعت حاجبها ، قائلة فى توتر :
ـ يبدو أننا سنضطر لتجاوز البرنامج ، وسنبدأ القتال على الفور .
قالتها ، وهى تفتح علبة الثقاب ، ثم هتفت فى حنق :
ـ لا .. ليس هذا .

بلغت صيحتها مسامع المحترفين السبعة فى الطابق الأرضى، فصاح الزعيم :

ـ إنهما هناك بالفعل .. اظفروا بهما يا رجال .

وفى نفس اللحظة، التى ألقى فيها هتافه، كان (أدهم) يحُدق فى علبة الثقاب، التى التقطها من المطبخ، ليشعل قنابل (المولوتوف)(★) التى صنعها ..

إنها لم تكن تحوى أعواد ثقاب عادية، وإنما كانت تمتلئ كلها بأعواد ثقاب نصف محترقة .

ولم يكن هناك مبرِّر منطقى للاحتفاظ بشىء كهذا فى المطبخ ..

ولكن هذا ما حدث ..

وتعالىْ وقع أقدام ثلاثة من المحترفين، يهرعون إلى الطابق العلوى للمطعم، وكل منهم يحمل مدفعه الآلى؛ ليواجهوا اثنين من أفراد المخابرات المصرية ..

اثنان لا يحملان أسلحة فعَّالة ..

أية أسلحة .

★ ★ ★

(★) قنابل المولوتوف : ابتكار روسى بسيط، يعود إلى الحرب العالمية الثانية، عندما حاصر الألمان مدينة (موسكو)، ونفدت ذخيرة المقاتلين السوفيت، فابتكر الجنرال (مولوتوف) هذا النوع من القنابل البسيطة، التى تتكوَّن من زجاجة وقود، وسدادة من القماش، تشتعل لتفجير الوقود .

١٣ ـ المصيدة ..

قطع (كيلرمان) ممر مستشفى (جنيف) المركزى فى خطوات واسعة، حتى توقَّف أمام رجل شرطة سويدى، وقال :

ـ (برت كنوبى) .. من السفارة الأمريكية .. لقد أبلغتمونا بعثوركم على أحد رجالنا .

صافحه الشرطى، قائلًا :

ـ مستر (كنوبى) .. لقد عثرنا بالفعل على رجل أمريكى الملامح، يحمل جواز سفر باسم (رونالد جير)، ولكننا نحتاج إلى من يتعرَّفه، ليثبت أنه كذلك بالفعل .

سأله (كيلرمان) فى توتر :

ـ أين عثرتم عليه ؟

أجابه الشرطى، وهو يقوده إلى ثلاجة حفظ الموتى بالمستشفى :

ـ بالقرب من البحيرة .. الطبيب الشرعى لم يبدأ تشريح الجثة بعد، ولكن لا يوجد سبب واضح للوفاة .

غمغم (كيلرمان) :

ـ سنرى .

أشار الشرطى إلى عامل الثلاجة ، فجذب أحد أدراجها الكبيرة ، فتقدَّم منه (كيلرمان) فى ثبات ، وألقى نظرة على وجه (جير) ، قبل أن يزدرد لعابه ، قائلًا :

- إنه هو .

أومأ الشرطى برأسه ، قائلًا :

- يمكننا أن نتمَّ الإجراءات إذن .. قل لى يا سيِّدى : هل ترغبون فى نقله إلى بلادكم مباشرة ، بعد انتهاء الطبيب الشرعى من فحص جثته .

قال (كيلرمان) فى صرامة :

- لا ضرورة لذلك الفحص .

هزَّ الشرطى رأسه ، قائلًا فى حزم :

- إنه إجراء حتمى .

صمت (كيلرمان) لحظة ، قبل أن يقول :

- فليكن .. سنحتاج إلى نسخة من تقرير الطب الشرعى .

أشار الشرطى بسبَّابته ، مغمغمًا :

- يمكننى أن أضمن لك هذا .

ثم استطرد فى اهتمام :

- هل ستحصل على متعلقاته الآن ؟

أجابه (كيلرمان) فى حزم :

- نعم .. أريد الحصول عليها فورًا .. اعمل على إعدادها ، حتى أنتهى من إجراء مكالمة هاتفية .

قالها ، واتجه إلى هاتف عادى ، فى ركن المستشفى ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى قال فى عصبية :

- إنه (جير) بالفعل .. التقرير الرسمى يقول : إن سبب الوفاة غير معروف ، ولكننى واثق من أن أحدهم قتله بوسيلة فنية ، تترك آثارًا طفيفة .

سأله محدِّثه فى توتر :

- من فعل هذا فى رأيك ؟

أجابه (كيلرمان) فى غضب :

- الروس أو المصريون .. أحدهما قرَّر إزاحته عن الطريق .

قال محدِّثه فى حزم :

- أو انتزاع ما لديه من معلومات .

صمت (كيلرمان) لحظة ، قبل أن يقول :

- إننى أرجِّح هذا الاحتمال الأخير .

قال محدِّثه حازمًا :

- فى هذه الحالة ، يمكنك استبعاد المصريين ؛ فهذا ليس أسلوبهم المعهود ، ثم إن رجلهم ، الذى يتولَّى الأمر هنا ، ليس من الطراز الذى يقتل بلا مبرِّر .

قال (كيلرمان) وتوتره يتضاعف :

- إذن فالروس وراء مصرع (جير) .. اللعنة !.. أقسم أن يدفعوا الثمن غاليًا .

أجابه محدِّثه فى صرامة :

- فيما بعد يا (كيلرمان) .. فيما بعد .. المهم أن كل المؤشرات تحتم إنهاء العملية بأقصى سرعة .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يقول فى حسم :

- اقبل عرض (ستيفان) يا (كيلرمان) .

انعقد حاجبا (كيلرمان) فى شدة ، وهو يقول :

- أقبل عرضه ؟!.. ولكن ذلك المأفون يطلب مليارًا ونصف المليار من الدولارات ، وخلال أربع وعشرين ساعة فحسب !.. كيف يمكن تدبير مثل هذا المبلغ ، فى وقت قليل كهذا .

أجابه محدِّثه :

- لقد اتصلت بالمسئولين فى (واشنطن) ، ولديهم حلّ لهذه المشكلة .

سأله (كيلرمان) فى اهتمام :

- وما هذا الحل ؟

أجابه محدِّثه فى شىء من السخرية :

- هل تذكر عملية (فونتانا) ؟

برقت عينا (كيلرمان) فى شدة ، وهو يقول :

- هل تعنى أن ...

قاطعه محدِّثه فى سرعة :

- نعم يا (كيلرمان) .. أعنى ما فهمته بالضبط .. سنمنحهم مليارًا ونصف المليار من الدولارات ، التى حصلنا عليها من عملية (فونتانا) ، ونحصل على تلك الأسطوانة المدمجة .

واستعاد صوته سخريته ، وهو يستطرد :

- فى هذه الحالة تصبح الصفقة عادلة .. أليس كذلك ؟

كان الشرطى يعود فى هذه اللحظة ، حاملًا متعلقات (جير) ؛ ليسلِّمها إلى (كيلرمان) ، وكان من الطبيعى أن يرتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يتطلَّع إلى هذا الأخير ..

فقد كان (كيلرمان) يقهقه ضاحكًا .. وبشدة ..

* * *

« تمت المرحلة الأولى من الخطة .. »

تلقَّى (زورين) تلك الإشارة فى مكتبه ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر ، التى حملت العبارة ، قبل أن تتحرَّك أصابعه فوق أزرار الكمبيوتر ، ويظهر سؤاله على الشاشة :

- كل شىء فى موضعه ؟

أتاه الجواب على الشاشة :

- تم تنفيذ المرحلة الأولى بالكامل ، وفقًا للبرنامج المعدَّل .. فى انتظار الأوامر لبدء المرحلة الثانية .

صمت (زورين) لحظات، متطلِّعًا إلى شاشة الكمبيوتر، ثم عادت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر ، قائلة :

- ابدأ المرحلة الثانية .

لم تمض ثوان معدودة ، حتى أتاه الجواب واضحًا على الشاشة :

- عُلم ، وسيبدأ التنفيذ فورًا .

اجتاحه انفعال جارف ، وهو يتطلَّع إلى العبارة على الشاشة ، ثم ضغط زر جهاز الاتصال الخاص على مكتبه ، قائلًا :

- (بوريس) .. تعال إلى مكتبى فورًا .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى كان (بوريس) يدلف إلى مكتبه ، ويُغلق الباب خلفه فى إحكام ، قائلًا :

- فى خدمتك يا سيِّدى .

التقط (زورين) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- المرحلة الأولى تمت بنجاح .

هتف (بوريس) فى حماس :

- رائع يا سيِّدى .. هذا يعنى أن كل شىء مازال يسير على ما يرام .

أومأ (زورين) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا (بوريس) .. كل الرجال اتخذوا مواقعهم ، واستعدوا لتنفيذ المرحلة الثانية .

برقت عينا (بوريس) ، وهو يقول :

- نشر الصواريخ ، ذات الرءوس النووية .

أجابه (زورين) :

- نعم .. ستبدأ عملية نشر الصواريخ ، وبعد أربعة أيام بالتحديد ، تصبح كل الصواريخ مستعدة لإصابة أهدافها ، وفى المرحلة الثالثة ، يبدأ العد التنازلى للإطلاق .. ثم نضرب الأهداف كلها ، وينطلق الإعصار الأحمر ليجتاح العالم أجمع .

زفر (بوريس) ، وهو يقول :

- ويتحقَّق الحلم يا سيِّدى .

برقت عينا (زورين) فى شدة ، وهو يقول :

- نعم يا (بوريس) ، يتحقَّق الحلم ، ويستعيد المد الشيوعى أمجاده السابقة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين هاتفه السرى الخاص ، فانعقد حاجبا (بوريس) ، وهو يقول منفعلًا :

- إنها مكالمة من (أوروبا) .

أشار إليه (زورين) ، وهو يلتقط السمّاعة ، ويضعها على أذنه ، قائلا :

- (زورين) .

ولم يكد (سيرجى كوربوف) يسمع صوته ، عند الطرف الآخر للخط ، حتى قال فى احترام واضح :

- (كوربوف) يا سيّدى .

اعتدل (زورين) فى اهتمام ، وهو يسأله :

- كيف سارت الأمور يا (سيرجى) ؟

روى له (كوربوف) كل ما حدث ، منذ وصوله إلى (سويسرا) ، ثم أنهى حديثه ، وهو يقول مستنكرًا :

- (ستيفان) المجنون هذا لا يدرك أننا لن نقبل عرضه قط .

صمت (زورين) لحظات ، ثم سأله فى حذر :

- هل أطلعك على محتويات الأسطوانة يا (سيرجى) ؟

أجابه فى حسم :

- كلّا يا سيّدى .. لم يفعل .

تراجع (زورين) فى مقعده فى ارتياح ، مغمغمًا :

- عظيم .

لم يفهم (كوربوف) السر فى هذا الارتياح ، ولكنه فوجئ برئيسه يستطرد فى حزم :

- اقبل عرض (ستيفان) يا (سيرجى) .

ارتفع حاجبا (كوربوف) فى دهشة بالغة ، حتى كادا يختفيان وسط شعره ، وهو يهتف :

- ماذا ؟!

أجابه (زورين) فى صرامة :

- نفّذ الأوامر يا (سيرجى) .. اقبل عرض (ستيفان) .

ألجم الذهول لسان (كوربوف) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- كما تأمر يا سيّدى .

قال (زورين) :

- وبأقصى سرعة يا (سيرجى) .. أريد أن يتمّ هذا الأمر بأقصى سرعة ممكنة .. اتصل به الآن لو أمكن .

غمغم (كوربوف) :

- سأفعل يا سيّدى .. سأفعل على الفور .

وأنهى الاتصال والحيرة تملأ وجهه كله ، فسأله (إيفان) فى لهجة نصف ساخرة :

- هل أمرك بتسليم القيادة لى ؟

التفت إليه (كوربوف) فى شرود ، وهو يجيب :

- بل أمرنى بقبول العرض .

هبَّت (أنستازيا) من رقادها ، قائلة فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

أما (إيفان) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ مستحيل !

أجابه (كوربوف) فى صرامة :

ـ لا يوجد مستحيل فى عالمنا .. من المؤكَّد أنها مناورة مدروسة ، أو محاولة للخداع .. سنحصل على الأسطوانة ، ثم نمنحهم شيئًا زائفًا .. هذه خطتهم بالتأكيد .

قالها محاولًا إقناع رجاله ، إلا أنه هو نفسه كان يشعر بقلق عنيف ..

قلق بلا حدود ..

* * *

التقط (ستيفان) سمَّاعة هاتفه ، ووضعها على أذنه ، قائلًا فى هدوء ، يشف عن قدر كبير من اللامبالاة :

ـ مساء الخير يا مستر (كنوبى) .. كيف حالك ؟

أجابه (كيلرمان) فى سرعة وحزم :

ـ لقد قبلنا عرضك يا مستر (ستيفان) .

ابتسم (ستيفان) ، قائلًا :

ـ هكذا ؟!.. عظيم .. عظيم جدًا يا مستر (كنوبى) ، ولكن تذكَّر .. لقد منحتكم يومًا واحدًا .

أجابه (كيلرمان) فى توتر :

ـ أعلم هذا .. لقد انطلقت الشحنة بالفعل من (نيويورك) ، وستصل إلى هنا بطائرة خاصة ، خلال تسع ساعات فحسب .

قال (ستيفان) فى هدوء :

ـ رائع يا مستر (كنوبى) .. سننتظر وصول الشحنة ، ثم نتمّ الصفقة .. إلى اللقاء .

انهى الاتصال ، وهو يقول فى سخرية :

ـ كنت أعلم أنكم ستوافقون .

سأله مساعده فى اهتمام :

ـ هل سيدفعون المبلغ بأكمله ؟

أجابه (ستيفان) فى ثقة :

ـ دون أن ينقص دولارًا واحدًا .

سأله مساعده :

ـ وماذا عن السوفييت ؟

ابتسم (ستيفان) ، قائلًا :

ـ لم يعودوا كذلك يا رجل .. إنهم الآن رُوس وليسوا من السوفييت .

قال مساعده فى لا مبالاة :

ـ لا يعنينى الفارق كثيرًا .. كنت أسأل فحسب : ماذا

عنهم ؟.. هل قبولنا العرض الأمريكى يعنى رفضنا لعرضهم ؟!

هزَّ (ستيفان) رأسه نفيًا ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ مطلقًا .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى جدية مباغتة :

ـ لو أن الأمر بيدى ، لقبلت العرض الأمريكى بلا تردُّد ، ورحلت من هذا المكان ، قبل أن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، وينجح أحدهم فى الوصول إلينا ، ولكن ..

صمت دفعة واحدة ، فسأله مساعده فى شغف :

ـ ولكن ماذا ؟!

تنهَّد (ستيفان) ، وهو يقول :

ـ يبدو أننى مضطر لتفضيل العرض السوفيتى .. أقصد الروسى .

قال المساعد فى حيرة :

ـ مضطر ؟!

شرد (ستيفان) لحظة ، مغمغمًا :

ـ نعم .. الأوامر تحتِّم ..

بتر عبارته بغتة ، عندما أدرك أنه تجاوز الحدود ، والتفت إلى مساعده فى غضب ، قائلًا فى صرامة :

ـ ولكن لا شأن لك بمثل هذه الأمور .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فالتقطه ووضعه على أذنه لحظة ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ مرحبًا يا مستر (كوربوف) .. كيف حالك ؟.. كنت أنتظر مكالمتك .. هل عرضت الصفقة على رؤسائك .

أجابه (كوربوف) ، فى شىء من الحنق :

ـ إننا نقبل عرضك .

برقت عينا (ستيفان) ، ووجد نفسه يهتف فى لهفة :

ـ حقًّا ؟!

ثم استعاد رصانته فى سرعة ، مستطردًا :

ـ دعنا نلتقى إذن ، لنتمّ الصفقة .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ سنحتاج إلى بعض الوقت لترتيب الأمور .

قال (ستيفان) فى فرح :

ـ بالطبع يا مستر (كوربوف) .. بالطبع .. إننا نقدّر هذا ، خذوا ما تشاءون من الوقت .. المهم أن نلتقى الليلة ؛ لنضع النقاط على الحروف ، وبعدها نتفق على جدول زمنى لإتمام الصفقة .

أجابه (كوربوف) :

ـ فليكن .. سآتى لزيارتك فى العاشرة والنصف .

قال (ستيفان) فى لهفة واضحة :

ـ سأكون فى انتظارك .

أنهى (كوربوف) المحادثة ، وهو يمتلئ بحنق وقلق لا حدود لهما ، ولوّح بكفه ، قائلًا :

- أعتقد أنها محاولة لإضاعة الوقت فحسب .

همّت (أنستازيا) فى قول شيء ما ، لولا أن ارتفع رنين جرس الباب ، فى هذه اللحظة ، فقفزت (أنستازيا) من فراشها ، واستلّت مسدسها ، قائلة :

- سأنظر من القادم .

اتجهت فى حذر إلى الباب ، وسألت بالروسية :

- من بالباب ؟

أتاها صوت مألوف ، لأحد زملاء المهنة ، فأسرعت تفتح الباب ، وهى تسأله :

- ماذا وراءك ؟

كان الرجل يلهث من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- أنا آت حالًا من المستشفى .. لقد استعاد (شلينكو) وعيه ، وأبلغنى اسم الرجل الذى هاجمه .

انعقد حاجبا (كوربوف) ، وهو يقول :

- أليس (كيلرمان) ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا فى قوة ، قبل أن يجيب :

- كلا .. إنه الرجل الذى أبلغتم بتخلّصكم منه .

ومال إلى الأمام ، مستطردًا :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وكان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمله (كوربوف) .. لذا فقد بدا أثر الصدمة عليه واضحًا .. وعنيفًا ..

★ ★ ★

« اقتلوهما فور رؤيتهما .. »

انطلقت صرخة الزعيم ترج ذلك المطعم المغلق ، وثلاثة من رجاله يقفزون درجات السلم قفزًا ، فى طريقهم إلى الطابق العلوى ، حيث يحتمى (أدهم) و (جيهان) ، فى حين تحرّك الباقون فى الطابق السفلى ، واندفع أحدهم خارجًا ، لحراسة النوافذ الخارجية للطابق الثانى ، حتى لا يلجأ (أدهم) و (جيهان) للفرار عبرهما ..

وشعرت (جيهان) أنها النهاية بحق هذه المرة ..

أما (أدهم) ، فقد تطلّع إلى ساعته ، وهو يلتقط من حزامه سكينًا كبيرًا ، التقطه من مطبخ المطعم ..

كان هذا هو السلاح الوحيد الذى يمتلكه ، فى مواجهة ثلاثة مدافع آلية ، يحملها محترفون ، لا يشقّ لهم غبار ..

وهذا يعنى أن احتمال النجاة لا يتجاوز الواحد فى مائة ألف ..

أو فى مليون ..

وخفق قلب (جيهان) فى عنف ، عندما ظهر الرجال الثلاثة ، وصاح بها (أدهم) :

- ابتعدى .

قالها ، وهو يدفعها بعيدًا ، وسط الموائد الخالية فى الطابق العلوى ..

وانطلقت الرصاصات ..

وابل من الرصاصات انهال على المكان ، واخترق الموائد والجدران ، و ...

وفجأة ، دوى انفجار عنيف ..

انفجرّ جهاز (الميكروويف) ، وتطايرت شظاياه المحترقة فى كل مكان ، وأطاح بأحد المحترفين الأربعة فى الطابق السفلى ، وأصاب اثنين من الباقين بجراح ..

وباغت المحترفين الثلاثة فى الطابق العلوى ..

باغتهم فتوقّفوا عن إطلاق النيران لحظة واحدة ، وهم يلتفتون فى حدة إلى حيث دوى الانفجار ..

وعندما اعتدلوا ، فى اللحظة التالية ، كانت فى انتظارهم مفاجأة مدهشة ..

كان (أدهم) ينقضّ عليهم ، بواحدة من موائد المطعم ، وهو يطلق صرخة قتالية قوية ، انتفضت لها أجسادهم ، على الرغم من خبرتهم القتالية الطويلة ..

واستدارت مدافعهم صوبه فى سرعة ، إلا أنها لم تجد الوقت الكافى للانطلاق ، فقد دفع (أدهم) المائدة فى وجوههم ، ودفعهم أمامه فى سرعة وقوة ، حتى بلغ حافة السلم ، ففقد ثلاثتهم توازنهم ، وسقطوا يتدحرجون فوقه بدوى هائل ..

وصرخ الزعيم غاضبًا :

- ماذا فعل بكم أيها الأغبياء ؟

هبَّ ثلاثتهم واقفين ، واستعاد اثنان منهم أسلحتهما ، فى حين هتف الثالث فى دهشة ساخطة :

- أين سلاحى ؟

أتاه صوت (أدهم) من أعلى ، صائحًا فى سخرية :

- ها هو ذا .

انتبه الرجل ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أن (أدهم) قد اختطف مدفعه الآلى من يده ، قبل أن يدفعه مع زميليه خارج السلم بلحظة واحدة ..

وأنه يصوِّبه إلى الجميع الآن ..

ويطلق النـار ..

اندفع المحترفون الستة نحو باب المطعم ، وزعيمهم يهتف :

- إلى الخارج .. انسحاب منظم إلى الخارج .

كانت رصاصات (أدهم) تتطاير فى كل مكان ، وهم يقفزون خارجين ، وسقط أحدهم صريعًا ، وأصيب ثان ، قبل أن يغادروا المكان تمامًا ..

وهتفت (جيهان) ضاحكة :

ـ مرحى يا سيادة العميد .. هكذا يكون العمل .

ثم سألته فى شغف :

ـ ولكن أخبرنى .. لماذا لم تطلق النار عليهم مباشرة ؟

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـ لست أدرى .. ربما كانت عادة تكوَّنت مع الوقت ، فأنا أبغض القتل المفرط دومًا .

قالت فى دهشة :

ـ ولكن كل شخص حى منهم ، يعنى فرصة جديدة لموتنا .

ابتسم ، قائلًا :

ـ الله (سبحانه وتعالى) ينصر القوم الصالحين يا عزيزتى .

وعلى الرغم من دقة الموقف وصعوبته ، خفق قلب (جيهان) فى قوة ..

لقد خاطبها بلقب (عزيزتى) ..

نطقه فى يسر وسهولة ، كما لو أنه ينبع من قلبه مباشرة ..

أو من أعماق مشاعره ..

والعجيب أنه هو أيضًا انتبه إلى هذا ..

هو أيضًا لاحظ أنه خاطبها بنفس اللقب ، الذى اعتاد مخاطبة (منى) به دائمًا ..

ولم يدر لماذا فعل هذا ؟!

ألأن وجودها إلى جواره يذكره بعملياته السابقة مع (منى) ؟!..

أم لأنها جذبت انتباهه بالفعل ؟!..

نفض الاحتمال الأخير عن رأسه فى عنف ، وهو يقول فى حزم :

ـ سيعاودون الهجوم حتمًا .

سألته فى اهتمام :

ـ وما الذى يمكننا فعله عندئذ ؟

أجاب بسرعة :

ـ أن نواصل المقاومة ، حتى آخر رمق .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ وأوَّل ما نفعله هو أن نهبط إلى أسفل ، فالنيران لا تزال مشتعلة فى المطبخ ، وسنحصل منها على ما نشعل به قنابلنا .

ضحكت قائلة :

ـ يا للمفارقة !.. تستخدم نيرانًا مشتعلة لإشعال فتيل قنبلة بسيطة !

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـ الأمور تفرض نفسها دائمًا .

هبطا معًا إلى الطابق السفلى فى حذر ، و (أدهم) يحمل مدفعه الآلى بيمناه ، ويمسك زجاجة كحول بيسراه ، فى حين حملت هى زجاجتين ، وهى تتحسَّس موضع قدميها فى قلق بالغ ..

كانت النيران تلتهم مطبخ المطعم فى شراهة ، وألسنتها المتطايرة تهدِّد المكان كله بحريق كبير ، فغمغمت :

ـ أعتقد أنهم ليسوا بحاجة لقتالنا ، فلو تركونا وحدنا ، ستلتهمنا هذه النيران بعد حين .

قال فى حزم :

ـ هذا يعنى أنه من المحتم أن نحسم الموقف ، قبل أن يأتى ذلك الحين .

سألته :

ـ وكيف هذا ؟

انحنى فى حذر ، يراقب الرجال المحيطين بالمكان ، ومدافعهم الآلية متحفزة للغاية ، قبل أن يجيب :

ـ سنجد وسيلة ما .. سنجد وسيلة بإذن الله .

لم يكن يدرك لحظتها أن زعيم المحترفين كان يجرى اتصالًا خاصًّا ..

كان يتحدَّث مع الجنرال (تورنسول) مباشرة ، وهذا الأخير يسأله متوترًا :

ـ ماذا تعنى بأنكم لم تنفذوا المهمة بعد ؟!.. إنكم عشرة رجال ، مقابل رجل واحد !

أجابه الزعيم فى توتر :

ـ رجل وفتاة .

هتف (تورنسول) فى حدة ساخرة :

ـ حقًّا ؟!.. رجل وفتاة ؟!.. هنا تكمن الصعوبة إذن .. وجود الفتاة يربككم أيها المراهقون .. أليس كذلك ؟

زفر الزعيم فى توتر ، قبل أن يقول :

ـ الرجل أكثر من محترف يا جنرال .. إنه خبير محنَّك .. لقد حاصرناه داخل مطعم عادى ، فحوَّل كل شىء فيه إلى سلاح فتَّاك ، وخسرنا خمسة رجال فى الهجوم الأوَّل .

كادت عينا الجنرال تجحظان ، وهو يهتف ثائرًا :

ـ خمسة ؟!.. خسرتم خمسة رجال دفعة واحدة .. يا للبشاعة !.. أى فريق أنتم ؟!.. أنا مضطر إلى الحضور بنفسى ؛ لتغيير حفاضاتكم ؟!

انعقد حاجبا الزعيم فى عصبية ، وقال :
- فليكن يا جنرال .. لا داعى للثورة والسخرية .. سنشن هجومًا مركزًا ، ولن نبالى هذه المرة بما يمكن أن نحدثه من ضجة .. سد أذنيك يا جنرال ، فصوت القتال سيكون مسموعًا هذه المرة ، من الطرف الآخر للمدينة .
وأنهى الاتصال ، مستطردًا فى حزم :
- وهذا وعد .
ثم التفت إلى أحد رجاله ، قائلًا :
- حسن يا رجال .. سنستخدم الصواريخ هذه المرة .
بدا الجذل فى عيونهم ، واندفع اثنان منهم إلى السيارة ، وأخرجا من حقيبتها مدفعين من المدافع المحمولة على الكتف ، وصوَّبها كل منهما إلى المطعم ، انتظارًا لأوامر الزعيم ..
ومن داخل المطعم ، انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :
- يبدو أن الأمور قد بلغت حدًا بالغ الخطورة بالفعل .
اتسعت عينا (جيهان) فى ارتياع ، وهى تحدّق فى المدفعين ، وهتفت :
- ربّاه !.. سيستخدمون الصواريخ .
تلفّت (أدهم) حوله ، بحثًا عن مخرج من هذا المأزق ، ولكن المكان بدا له فجأة أشبه بمصيدة محكمة ..

النيران وألسنة اللهب تندلع عند المخرج الخلفى للمطبخ ..
وخمسة من المحترفين يسيطرون على المدخل الأمامى ، واثنان منهم يصوبان إلى المطعم مدفعين صاروخيين ، فى انتظار إشارة من زعيمهما ، الذى رفع يده ، وهو يقول :
- استعدا .
عمل عقل (أدهم) بسرعة ، وعيناه تدوران فى المكان فى سرعة لا تنافسها إلا سرعة الأفكار المشتعلة فى رأسه ، فى حين ألجم التوتر لسان (جيهان) تمامًا ، و ...
وخفض الزعيم يده ، وهو يهتف فى صرامة :
- أطلقا .
وانطلق الصاروخان نحو المطعم ..
وكان الانفجار هائلًا .

★ ★ ★

(انتهى الجزء الأوَّل بحمد الله)

ويليه الجزء الثانى

[عقارب الساعة]